الشعارات الثورية في الحماسات الشيعية

نسبتها لأهل البيت والاستدلال بها على حكم الثورات

محمد علي العريبي

2016

العنوان: الشعارات الثورية في الحماسات الشيعية

المؤلف: محمد علي العريبي

الإصدار: الأول

السنة: ٢٠١٦ - البحرين

تمهيد

قد تمحل كثير من الزيدية والفرق قديما وبعض أصحابنا -هداهم الله للصواب- أخيرا وجوها شتى لتبرير سعيهم لرفع راية التشيع والحكم باسم الإمام بإقامة الدولة الظاهرة، أو معارضة الحكام في حكمهم، أو تشكيل الأحزاب التي لا يتوهم الحكام ولا يشك في كونها معارضة لدولتهم.

ومن حججهم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفريضة قائمة لا يمكن تعطيلها، وقد مر الجواب عنها في كتاب حرمة القيام، فليراجع ثمة.

ومنها: التمسك بقيام الحسين عليه السلام والاقتداء به في ثورته، وأن أقواله عليه السلام نص في حرمة مهادنة الحكام الذين لا يجرون بالعدل بين الأنام.

وهذا ما يبحثه الكتاب الحاضر بين يديك في فصلين:

الأول: في قيام الحسين بن علي بن أبي طالب.

الثاني: في تحقيق حال الشعارات الثورية المنسوبة لأهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله.

وقد أدرجنا الفصل الأول لأنه لا غنى عنه كمدخل للثاني، وعنونا الكتاب بالثاني لأنه من الأبحاث التي لم يطرق بابها حتى الآن؛ لأغراض منها ما هو مقبول عند الإنصاف، والفصلان مذكوران بتمامها في كتابنا المسمى بـ (حرمة القيام).

تمحل كثير من الزيدية والفرق قديما وبعض أصحابنا أخيرا وجوها شتى لتبرير سعيهم للحكم باسم الإمام و إقامة الدولة الظاهرة

الفصل الأول:

قيام الحسين عليه السلام بالأمر

تشييد وتشديد

لا ينبغي جعل كلام غير المعصوم حاكما وميزانا لفهم المعصوم ولا هاديا له، "أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون"، بل هو من تسويلات إبليس اللعين لبعض إخوتنا في الدين، وفيه من الصد عن المحكم من كتاب الله وسنة نبيه وآله، وسلوكا لسبل غيرهم وركونا للظنون من أفهامهم، وبعض هؤلاء لووا ألسنتهم ليعجب الناس لحنه واصطبغوا بصبغة العلم وهم في بحر الشبهات يسبحون، وقد صدق مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في توصيفهم بقوله في خطبته الشهيرة في أصناف الناس وهي شديدة لا يرتضيها من قيل فيه وهي فيه، وكأنها قوله تعالى: "كالحمار يحمل أسفارا":

"إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلائِقِ إِلَى اللَّهِ [تَعَالَى] رَجُلانِ:

رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلامِ بِدْعَةٍ ودُعَاءِ ضَلالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وبَعْدَ وَفَاتِهِ حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ.

وَ رَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ(١)، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً ولَيْسَ بِهِ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ واكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ، لا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاتٍ، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ، يَذْرُو الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ، لا مَلِيٌّ واللَّهِ إِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، ولا [هُوَ] أَهْلٌ لِمَا [فُوِّضَ] بِهِ [إِلَيْهِ]، لا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، ولا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ وتَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ.

---

(١) أي لا يدرك المصالح والملاكات فيقضي بأصلحها، ولا يهتدي عند التزاحم فيحكم بأصوبها.

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا ويَمُوتُونَ ضُلالًا، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ، ولا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً ولا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، ولا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ولا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ"(١).

---

(١) نهج البلاغة (تحقيق صبحي): ٥٩.

وصف أمير المؤمنين علي بعضهم فقال:

فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ، لا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاتٍ، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ، يَذْرُو الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ.

الجواب عن الشبهة

وأما القول في الجواب عن شبهتهم:

الشيعة رهن أمر أئمتهم

فأولها وأوضحها: أن الشيعة رهن أمر أئمتهم الذين ثبت بآية الولاية وبحديث الثقلين والغدير وغيرها حجيتهم، لا فرق بينهم، فإن قام الحسين قاموا وإن قعد السجاد وأبناؤه وأمروا شيعتهم بالانتظار سلّموا، ليس علينا سؤالهم عن فعلهم وليس عليهم جوابنا عن حركاتهم وسكناتهم، وما علينا إلا السؤال عن التكليف، فمن أراد اتباعهم نجى وصحت حُجَّته، ومن خالفهم هلك وغوى وبارت تجارته، فقد ثبت لنا بتلك الأدلة صواب قولهم وكمال عقولهم، وليس هذا الجواب من الأكل من القفى وليس نفس المدعى، فراجع تنجع.

علة القيام من كلام المعصوم عليه السلام

ثانيها: ما في الأخبار المعصومة والمشهورة من كواشف عن علة قيام المعصوم أو قعوده بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد

أحسن الجواب السيد المدني في شرح الصحيفة -ونوافقه في أكثر ما قال-حيث قال ناطقا بما في الأخبار:

" فإن قلت: فقد كان الحسين (عليه السّلام) عالما بذلك فكيف ساغ له الخروج حتّى تمّ عليه ما تمّ ؟

قلت: عن ذلك جوابان:

أحدهما: إنّه كان معهودا إليه بذلك، مأمورا بالخروج مع العلم؛ فإنّ أفعالهم (عليهم السّلام) كلّها معهودة من الله تعالى، كما دلّت عليه الروايات عنهم (عليهم السّلام):

منها: حديث الوصيّة، وهو ما رواه ثقة الإسلام بإسناده عن معاذ بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السّلام) قال: «إنّ الوصيّة نزلت من السماء على محمّد (صلى الله عليه وآله) كتابا لم ينزل على محمّد (صلّى الله عليه وآله) كتاب مختوم إلاّ الوصيّة، فقال جبرئيل: يا محمّد هذه وصيّتك في أمّتك عند أهل بيتك، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

أيّ أهل بيتي يا جبرئيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريّته ليرثك علم النبوّة كما ورثه إبراهيم (عليه السّلام)، وميراثه لعليّ وذرّيّتك من صلبه، قال: وكان عليها خواتيم قال: ففتح عليّ (عليه السّلام) الخاتم الأوّل ومضى

لما فيها ثمّ فتح الحسن (عليه السّلام) الخاتم الثاني ومضى لما أمر به فيها، فلمّا توفّي الحسن (عليه السّلام) ومضى.

فتح الحسين (عليه السّلام) الخاتم الثالث فوجد فيها: أن قاتل فاقتل وتقتل، واخرج بأقوام للشهادة لا شهادة لهم إلاّ معك، قال: ففعل.

فلمّا مضى دفعها إلى عليّ بن الحسين (عليه السّلام) قبل ذلك ففتح الخاتم الرابع فوجد فيها أن اصمت وأطرق لما حجب العلم، فلمّا توفّي ومضى دفعها إلى محمّد بن عليّ (عليهما السّلام) قبل ذلك ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فسّر كتاب الله، وصدّق أباك وورّث ابنك واصطنع الامّة، وقم بحقّ الله وقل الحقّ في الخوف والأمن ولا تخش إلاّ الله، ففعل ثمّ دفعها إلى الّذي يليه، قال: قلت له: جعلت فداك فأنت هو؟ قال فقال: ما بي إلاّ أن تذهب يا معاذ فتروي عليّ».

فهذا الحديث صريح النصّ بأنّهم (عليهم السّلام) لم يفعلوا أمرا إلاّ بعهد من الله تعالى، فسقط الاعتراض.

الجواب الثاني: إنّ التكاليف الشرعيّة بالنسبة إليهم مقصورة على ما يعلمونه بالعلوم الظاهريّة دون العلوم الغيبيّة، فالحسين (عليه السّلام) لمّا ظهر له بذل الطاعة من أهل الكوفة وكاتبه وجوههم وأشرافهم

وقراؤهم مرّة بعد أخرى طائعين غير مكرهين، ومبتدئين غير مجيبين، لم يسعه في الظاهر إلاّ الخروج والقيام في إعلاء دين الله وكلمته، ألا تراه (عليه السّلام) لمّا بلغه قتل مسلم بن عقيل وخذلان أهل الكوفة همّ بالرجوع فلم يمكّن.

وكذلك كان حال الحسن (عليه السّلام) فانّه نهد أوّلا إلى حرب معاوية في شيعته وسار إلى لقائه مع علمه في الباطن بمصير الأمر إليه، لكن لم يثن ذلك من عزمه حتّى ظهر له خذلان أصحابه وتفرّق أهوائهم، وميل أكثرهم إلى معاوية طمعا في دنياه، وتفاقم الأمر إلى أن جلس له بعضهم في ساباط مظلم، وطعنه بمعول أصاب فخذه وشقّه حتّى وصل العظم فلمّا علم بالعلم الظاهر عدم تمكّنه وتوجّه الضرر إليه وإلى المؤمنين من شيعته نزع إلى الصلح وكفّ عن الجهاد.

وهكذا حال سائر الائمّة (عليهم السّلام)؛ فانّهم لو وجدوا من الأنصار من يتمكّنون بهم من الخروج لم يسعهم إلاّ الخروج والقيام، مع علمهم في الباطن بحقيقة الحال.

يدلّ على ذلك ما رواه ثقة الإسلام بإسناده إلى سدير الصيرفي قال: «دخلت على أبي عبد الله (عليه السّلام) فقلت له: والله ما يسعك القعود، فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، والله لو كان لأمير المؤمنين مالك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع

فيه تيم ولا عديّ، فقال: يا سدير وكم عسى أن يكون؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف؟ قلت: نعم ومائتي ألف، فقال: مائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا، قال: فسكت عنّي ثمّ قال: يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع ؟ قلت: نعم، فأمر بحمار وبغل أن يُسرجا فبادرت فركبت الحمار، فقال: يا سدير أ ترى أن تؤثرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبل، قال: الحمار أرفق بي، فنزلت فركب الحمار وركبت البغل فمضينا فحانت الصلاة فقال: يا سدير انزل بنا نصلّي، ثمّ قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصّلاة فيها، فسرنا حتّى صرنا إلى أرض حمراء، ونظر إلى غلام يرعى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، ونزلنا وصلّينا فلمّا فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر».

وهذا الحديث صريح فيما ذكرنا، وفي هذا المعنى أخبار أخر لا نطول بذكرها وإنّما اختلفت أجوبتهم (عليهم السّلام) في العذر لأنّهم يكلّمون الناس على قدر عقولهم، ويجيبون كلّ سائل بما تقتضيه المصلحة في الجواب، والله أعلم"(١) انتهى كلامه علا مقامه.

---

(١) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: ١٩٤.

الحسين عليه السلام لم يكن ثائرا

ثالثها: أننا ننكر أن يكون عليه السلام قد خرج على يزيد ثائرا بالمصطلح المعاصر، بل كان عليه السلام مقتولا مستشهدا على أي حال، مُطبِّقا لقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة والمدينة حتى خروجه واستشهاده سلام الله عليه، ثائرا على منتهكي حريمه وظالميه يوم الطفوف بالخصوص.

أنكر على معاوية تخليفه ابنه الفاسق على مشهد المسلمين، ثم امتنع عن البيعة له في المدينة بعد موت معاوية؛ حيث كانت الأمة تتوقع أن يصير الأمر للحسين عليه السلام، بل هو إمامها الحق والظاهر ببيعة الأكثر وأهل الحل والعقد، وكانت الغلبة في قلوبهم له سلام الله عليه ووجهاؤهم منكرون على يزيد وأبيه، وقد علم أن القوم يجتمعون عليه كما اجتمعوا لأبيه وأخيه عليهما السلام، فانظر كيف حفوا به في مكة حتى تضاءل الزبير، ولم يسع ليزيد إلا أن يأخذ الحسين غيلة ولو كان متعلقا بأستار الكعبة المشرفة.

فخرج بأبي هو وأمي من المدينة بعياله لمكة لما قل الناصر فيها وامتلأت بسيوف يزيد وعيونه -وقد سبقه ابن الزبير الذي كان مهددا أيضا فاجتمعت عليه الناس، وهجر ذكر يزيد، وتهافتت عليه مراسيل أهل

العراق بالمكاتيب يبايعونه ويُفدُّونه حتى لزمت بيعته في أعناقهم دون غيره، ثم ما وسعه القيام والمقام وقد تربص به الأعداء ليقتلوه وقامت عليه الحجة بالإجابة، فما وجد مصرا يأويه وينصره بخير من الكوفة، وما بقي عذرٌ له إلا أن ينصرفَ إليهم كما سارَ إليهم أبوه علي وأخوه الحسن عليهما السلام، فرحلَ إليهم بأهلِه وأبهة محامله، وكان قبلها لم يستعجل الأمر حتى يتيقن حالهم، فأرسلَ إليهم برسوله مسلمَ بن عقيل، فأجابه بصدق القوم قبل أن يُفردوه وهم كثرة، فلحق الحسين عليه السلام من الناس وفيهم من يحسب أن الدنيا ستصير إليه، فلما تَبيَّن لهم الأمر أسلموه وحيدا بأهله وقليل من صحبه، ولما تبرد صفقة بيعتهم ولما يجف حبر كتبهم، وحوصر السيد المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام بجنود ملأت الأفق، فطلب الرحيل لموضع لا يدخله الكوفة ولا يرجعه المدينة، فمنعوه حتى يدخلوه الكوفة فينفذوا فيه حكم يزيد الذي أصدره لوالي المدينة ونفذه في رسل الحسين وأنصاره في الكوفة، فما وجد إلا أن يحامي عن نفسه وعرضه وأهله، فثار مدافعا عن هذا وهو يعلم قلة الناصر والمعين وخذلان من كاتبوه، فاستُشهد سبط النبي المصطفى ومن معه بأفجع صورة وهتكت حرمته ورفع رأسه وهو أول رأس منحور رفع في الإسلام، فلعن الله قاتليه ومن تابعهم إلى يوم الدين.

وعلى القائل بغير هذا أن يبرز دليله وحجته على قيام الحسين عليه السلام بثورة كالثورات المعاصرة التي لا إمام عليها مع قلة العدة والعدد وتظافر النصوص الناهية عن ارتكابها وقدمنا كثيرا منها في كتاب (حرمة القيام)، وأنت إن تتبعت سيرته وقرأت خطبه عليه السلام لم تر ثورةً كما يصفون ولم تجد غير ما ذكرنا، بل كيف يثور الإمام على المأموم، وما عُرف إمام مبايع معهود إليه بعهد سابق مكتوب يومها إلا الحسين بن علي، فالخارج عليه كمثل الخارج على علي عليه السلام.

ويؤد ما قلنا ما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله (ت ٤١٣ هـ) - وهو من فقهاء الطائفة وأستاذ السيد المرتضى وشيخ الطائفة الطوسي وصاحب كتاب مقتل الإمام الحسين عليه السلام الشهير - في الإرشاد قال:

"(فصل):

فَكَانَتْ إِمَامَةُ الْحُسَيْنِ ع بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ بِمَا قَدَّمْنَاهُ ثَابِتَةً وطَاعَتُهُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ لَازِمَةً وإِنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى نَفْسِهِ ع لِلتَّقِيَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا والْهُدْنَةِ الْحَاصِلَةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَالْتَزَمَ الْوَفَاءَ بِهَا وجَرَى فِي ذَلِكَ مَجْرَى أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وثُبُوتِ إِمَامَتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ ص مَعَ الصُّمُوتِ وإِمَامَةِ أَخِيهِ الْحَسَنِ ع بَعْدَ الْهُدْنَةِ مَعَ الْكَفِّ والسُّكُوتِ،

فَكَانُوا فِي ذَلِكَ عَلَى سُنَنِ نَبِيِّ اللَّهِ ص وهُوَ فِي الشِّعْبِ مَحْصُورٌ وعِنْدَ خُرُوجِهِ مُهَاجِراً مِنْ مَكَّةَ مُسْتَخْفِياً فِي الْغَارِ وهُوَ مِنْ أَعْدَائِهِ مَسْتُورٌ.

فَلَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ وانْقَضَتْ مُدَّةُ الْهُدْنَةِ الَّتِي كَانَتْ تَمْنَعُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ع مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى نَفْسِهِ أَظْهَرَ أَمْرَهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وأَبَانَ عَنْ حَقِّهِ لِلْجَاهِلِينَ بِهِ حَالًا بِحَالٍ، إِلَى أَنِ اجْتَمَعَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ الْأَنْصَارُ[1]، فَدَعَا ع إِلَى الْجِهَادِ وشَمَّرَ لِلْقِتَالِ وتَوَجَّهَ بِوُلْدِهِ وأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ وحَرَمِ رَسُولِهِ نَحْوَ الْعِرَاقِ لِلِاسْتِنْصَارِ بِمَنْ دَعَاهُ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وقَدَّمَ

---

(١) قال في الإرشاد: " ثُمَّ ارْتَحَلُوا فَسَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى زُبَالَةَ، فَأَتَاهُ خَبَرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَقْطُرَ فَأَخْرَجَ إِلَى النَّاسِ كِتَاباً فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبَرٌ فَظِيعٌ، قَتْلُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَهَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَقْطُرَ وَقَدْ خَذَلَنَا شِيعَتُنَا، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمُ الِانْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ غَيْرَ حَرِجٍ لَيْسَ عَلَيْهِ ذِمَامٌ. فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالًا حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَنَفَرٍ يَسِيرٍ مِمَّنِ انْضَوَوْا إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ ع عَلِمَ أَنَّ الْأَعْرَابَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ إِنَّمَا اتَّبَعُوهُ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَأْتِي بَلَداً قَدِ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهِ، فَكَرِهَ أَنْ يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَّا وَهُمْ يَعْلَمُونَ عَلَى مَا يُقْدِمُونَ".

أَمَامَهُ ابْنَ عَمِّهِ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأَرْضَاهُ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ والْبَيْعَةِ لَهُ عَلَى الْجِهَادِ، فَبَايَعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى ذَلِكَ وعَاهَدُوهُ وضَمِنُوا لَهُ النُّصْرَةَ والنَّصِيحَةَ ووَثِقُوا لَهُ فِي ذَلِكَ وعَاقَدُوهُ، ثُمَّ لَمْ تَطُلِ الْمُدَّةُ بِهِمْ حَتَّى نَكَثُوا بَيْعَتَهُ وخَذَلُوهُ وأَسْلَمُوهُ فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ ولَمْ يَمْنَعُوهُ، وخَرَجُوا إِلَى الْحُسَيْنِ ع فَحَصَرُوهُ ومَنَعُوهُ الْمَسِيرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ واضْطَرُّوهُ إِلَى حَيْثُ لَا يَجِدُ نَاصِراً ولَا مَهْرَباً مِنْهُمْ، وحَالُوا بَيْنَهُ وبَيْنَ مَاءِ الْفُرَاتِ حَتَّى تَمَكَّنُوا مِنْهُ وقَتَلُوهُ، فَمَضَى ع ظَمْآنَ مُجَاهِداً صَابِرا مُحْتَسِباً مَظْلُوماً، قَدْ نُكِثَتْ بَيْعَتُهُ واسْتُحِلَّتْ حُرْمَتُهُ ولَمْ يُوفَ لَهُ بِعَهْدٍ ولَا رُعِيَتْ فِيهِ ذِمَّةُ عَقْدٍ، شَهِيداً عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ أَبُوهُ وأَخُوهُ عَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ والرَّحْمَةِ والتَّسْلِيمِ"(١).

وقال تلميذه السيد المرتضى رحمه الله معرضا بمن تأول الفرق ين الحسن والحسين عليهما السلام، وفلسف لكل فلسفة وجعل لكل مقالة:

"فأما الجمع بين فعله وفعل أخيه الحسن عليه السلام فواضح صحيح، لأن أخاه سلَّم كفا للفتنة، وخوفا على نفسه وأهله وشيعته، وإحساسا بالغدر من أصحابه، وهذا عليه السلام لما قوي في ظنه النصرة ممن كاتبه ووثق

(١) الإرشاد ٢: ٣١.

له، ورأى من أسباب قوة نصار الحق وضعف نصار الباطل، ما وجب معه عليه الطلب والخروج، فلما انعكس ذلك وظهرت أمارات الغدر فيه وسوء الاتفاق، رام الرجوع والمكافة والتسليم كما فعل أخوه عليه السلام، فمُنع من ذلك، وحيل بينه وبينه، فالحالان متفقان إلا أن التسليم والمكافة عند ظهور أسباب الخوف لم يقبلا منه عليه السلام ولم يجب إلى الموادعة وطلبت نفسه عليه السلام فمنع منها بجهده حتى مضى كريما إلى جنة الله تعالى ورضوانه وهذا واضح لمتأمله"[1].

---

(١) تنزيه الأنبياء: ١٧٨-١٧٩.

اجتماع شروط الخلافة الظاهرة للحسين كما اجتمعت لعلي والحسن ع

فالحسين عليه السلام إن جاهدَ -وصحت تسميته جهادا- فلما كان يعيشه من ظروف الإمكان شرطا وعدة وعددا، وما تسالم عليه أهل الديانة من ثبوت الخلافة الظاهرة لمن اجتمع عليه أهل الحل والعقد والتزموا ببيعته في أعناقهم وتكاتب عليه أهل الصح في كتاب قبل هذا، وهو الأمر الذي لم يكن إلا للحسين فضلا عن اقترانه بالإمامة المنصوبة المنصوصة، فهو الإمام ليس سواه آخر، وأن الإسلام لا زال جديدا لم ينس جهاد علي والحسن عليهما السلام، ولم ينس بنود الصلح وخلافة الحسين بعد موت معاوية في بنوده، فهو إمام واجب الطاعة مشروط وجوده في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المحتمل للدماء، مع تظافر الناصر وانبساط الأرض وبيعة الخلق الكثير واحتمال التأثير بحسب الظاهر من مكاتبات القوم وبيعتهم، فصار في الظاهر مبسوط اليد والقدرة، ولذا تبعه الخلق وأذعن له المصران، فكان إمام حق في السماء والأرض بالنص والتعيين، وإمام المسلمين قاطبة ببيعة أهل الحل والعقد كما شرطها المهاجرون والأنصار، وسلم بها علي والحسن عليهما السلام، ودون هذين لا يرجى اجتماع ولا

صلاح حتى يأتي أمر الله، وهذا ما نصت عليه رسالة أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية يدعوه للبيعة والنزول، قال المنقري في وقعة صفين واختارها الرضي في النهج:

" أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ بَيْعَتِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمَتْكَ وَ أَنْتَ بِالشَّامِ، لِأَنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عُثْمَانَ عَلَى مَا بُويِعُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَ لَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَ إِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ فَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا"[١].

ولزوم البيعة هذه بعينها هي التي حج بها الحسين عليه السلام القوم في خطبه المعروفة في الكتب المشهورة، منها ما نقله الطبري في تاريخه، قال:

" (قال أبو مخنف): عن عقبة بن أبي العيزار: إن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول

---

(١) وقعة صفين: ٢٩، نهج البلاغة: ٣٦٦-٣٦٧/ رسائل أمير المؤمنين ع، رقم ٦.

كان حقا على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير، وقد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر؛ لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغنى الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

ولم يجتمع هذا لأي إمام بعد الحسين الشهيد عليه السلام، فهو إمام منصوب لدينا معاشر الإمامية، وهو إمام قائم بشروط الخلافة من اجتماع الناس وبيعتهم عند غيرنا، وغيره من السلاطين خارج عن أمره، فالحسين هو الأصل وغيره جائر عليه غير مطاع، لكن تلكم الألوف خذلته بعد أن بايعوه، وذبحوه على حر صعيد دعوه فيه للقدوم عليهم، فروى بدم المصطفى حرَّ ثرى الطفوف، وما أبقوا من أهل بيته

صغيرا ولا كبيرا ولا حرمة إلا انتهكوها، وهو إمامهم في الواقع والظاهر، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وأين هذا الدين والفكر من حركات الساسة وثورات المدعين؛ التي لم يسمح الزمان بعد الحسين عليه السلام لساحة نصر تحققه أو نفع تجلبه أكثر من ضرر يلحقه، وقد اتسعت رقعة الإسلام وتفرقت طوائفهم الآن، والغلبة المطلقة فيها لدين بني أمة وآخرين عدول أو قاسطين، وستبقى دولا حتى يظهر ولي الله وحجته في العالمين، رغم إنكار أهل الاستحسان والتصرف في أخبار وآثار الطاهرين.

لكن جماعة من قومنا لما جعلوا من يزيد خليفة وصوروا الحسين عليه السلام خارجا عليه، وقرأوا بعض خطبه وكلامه المنتحل عليه، لم يكن لهم بد من ارتجال القول غير المحقق، فنسبوه كنسبة الزيدية والخوارج، وجعلوا منه سلام الله عليه مثالا لكل خارج، قطعوا حلقات كلامه وأرسلوها في مسامع الشيعة الكرام، فرست سفنهم على قرار غير مكين، وأنكروا التقية والهدنة وهي ركن في الدين ركين، انعقدت على الهدنة سيرة أهل الرشاد ولا يصلح بغيرها العباد والبلاد.

فعليك برعاية النظر فيما ذكره أصحاب المقاتل، وبالخصوص ما ذكره المفيد رحمه الله في كتابه الإرشاد.

وقد روى الطبري في تاريخه قال:

" عن أبي مخنف: لَم يَكُن لِيَزيدَ هِمَّةٌ حينَ وَلِيَ إلّا بَيعَةَ النَّفَرِ الَّذينَ أبَوا عَلَى مُعاوِيَةَ الإِجابَةَ إلى بَيعةِ يَزيدَ حينَ دَعَا النّاسَ إلى بَيعَتِهِ١، وأنَّهُ وَلِيُّ عَهدِهِ بَعدَهُ وَالفَراغَ مِن أمرِهِم، فَكَتَبَ إلَى الوَليدِ:

بِسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، مِن يَزيدَ أميرِ المُؤمِنينَ إلَى الوَليدِ بنِ عُتبَةَ . أمّا بَعدُ، فَإِنَّ مُعاوِيَةَ كانَ عَبدا مِن عِبادِ اللّهِ، أكرَمَهُ اللّهُ وَاستَخلَفَهُ وخَوَّلَهُ وَمَكَّنَ لَهُ، فَعاشَ بِقَدَرٍ وماتَ بِأَجَلٍ، فَرَحِمَهُ اللّهُ ؛ فَقَد عاشَ مَحمودا وماتَ بَرّا تَقِيّا، وَالسَّلامُ .

وكَتَبَ إلَيهِ في صَحيفَةٍ كَأَنَّها اُذُنُ فَأرَةٍ: أمّا بَعدُ، فَخُذ حُسَينا وعَبدَ اللّهِ بنَ عُمَرَ وعَبدَ اللّهِ بنَ الزُّبَيرِ بِالبَيعَةِ أخذا شَديدا لَيستَ فيهِ رُخصَةٌ حَتّى يُبايِعوا، وَالسَّلامُ ".

وقد عرف الوليد بن عتبة أن الأخذ الشديد هو التسليم المطلق ليزيد، فعلا وقلبا، وهو ما يعلم يزيد والوليد أنه لا يكون أبدا.

---

١ لأنه والناس أجمع يعلمون أن شرط الإمامة الظاهرية بيعة المتقدمين في الإسلام أو أكثرهم.

الهدنات الثلاث

وقد مر الشيعة مع غيرهم بثلاث هدنات، الأولى بين علي عليه السلام ومن نازعه الأمر حتى سمح الزمان فاستُخلِفَ بالنص السابق ثم بالبيعة وحَكم، والثانية بين الحسن ثم أخيه الحسين عليهما السلام من جهة ومعاوية حتى موت معاوية، والثالثة بعد استشهاد الحسين عليه السلام حتى قيام من يملأ الأرض قسطا وعدلا.

علي عليه السلام في الهدنة الأولى

ومال علي عليه السلام أيامها للسلم والمسالمة، لم يرفع سيفا ولا صوتا، رعاية للإسلام عن التمزق وللمسلين عن التفرق، إذ الأمور خرجت عما كان ينبغي لها أن تكون، وصارت لغير ما يعتقد أنها يجب أن تكون، لكنه آثر السكون وجلس مستشارا خيرا منه ثائرا أو قائما، فالأمر لله يُقلِّبُه كيف يشاء، ويقبلُه المؤمنُ المسلِّم أنَّى نزل.

ولعمري هل يُعجب الثائرين اليومَ فعل أميرهم !، وهل يرونه قد أذل نفسه وأذلهم !، أم يؤثرون طاعته ويخالفون هواهم، أم تأمرهم أحلامهم بغير أوامر الأئمة الهداة!، فيكون القياس لهم أداة !، مُحِقَ دينُ من قاس وخر البنيان ما انهدم الأساس، ولسنا -نحن الشيعة-

مذهب تأويل ولا مصوبة بعقل أبعد ما يكون عن الصواب ولا محل له قبال أدلة الخطاب، فليعلم المسلمون أن تأسيس الشيعة قام على المسالمة لا رفع الحراب.

ويكفينا شارحا لحال أمير المؤمنين عليه السلام قوله في خطبته الغراء الشقشقية:

" أَمَا واللَّه لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وإِنَّه لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّه، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى وفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِه، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَه ".

حتى قال:

" فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وشِدَّةِ الْمِحْنَةِ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِه، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لَلَّه ولِلشُّورَى ...".

ثم قال:

" فَمَا رَاعَنِي إِلَّا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ، إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ ... ".

ثم قال:

" أَمَا والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، ومَا أَخَذَ اللَّه عَلَى الْعُلَمَاءِ، أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ولَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا - ولَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا - ولأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِه أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ "(١).

أفكان علي عليه السلام يقار على كظة ظالم أو سغب مظلوم قبل يوم خلافته حتى ينفسها عنه بعد خلافته ؟، لا والله، بل ما اجتمعت لديه شرائط الأمر بالمعروف والقيام، مع أن الحراب كانت أطوع لديه من الصبر على المحنة، وكانت الدولة أصغر ما تكون ليجعلها تحت يديه، لكنه آثر أن لا يُسفَك دم على خلافة وأن لا يحكم بلا طوع الناس .

---

(١) نهج البلاغة (تحقيق صبحي صالح): ٤٨.

هذا في الهدنة الأولى التي انتهت بخلافته سلام الله عليه، ثم اعتلاها وصيه بالحق أبو محمد المجتبى.

ولعمري هل يُعجب الثائرين اليومَ فعل أميرهم !، وهل يرونه قد أذل نفسه وأذلهم !، أم يؤثرون طاعته ويخالفون هواهم، أم تأمرهم أحلامهم بغير أوامر الأئمة الهداة!، فيكون القياس لهم أداة !

الحسن عليه السلام في الهدنة الثانية

ولم يختلف فيها الإمام عن أبيه الإمام، سياسةً في الدين والرعية، ومنهجا في الأمر بالمعروف مهما أمكن، لما كانت زمام الأمور بيده، وركونا للسلم والهدنة تغليبا لمصلحة الدين، فلم ينازع أحدا في ملكه وسلطانه، ولم ينزع للخديعة والغلبة بها حاشاه وهو سبط من الأسباط وسيد شباب أهل الجنة، ولو أراد قياس المصلحة بعقول الناس وهواهم لظفر بمعاوية ساعة نهار، وما معاوية بأدهى من الحسن وهو ابن علي بن أبي طالب، غير أنه صبر على الأذى وتحمل الناس وجهلهم وقلة معرفتهم، تحملهم في حربه مع معاوية حتى طعنوه في فسطاطه وغدروا به في نزال معاوية وكادوا يسلموه للشام وهو سيدهم وخليفة الله فيهم، ثم صبر على جهل منهم أعظم لما طلب معاوية منه الصلح والمهادنة فنزل عليها وهو إمام كما قام بالحرب وهو إمام، فما جازوه إلا أن نبذه الجهال.

ولعمري، كيف يغمض عن طريقة المعصوم من يدعي اتباعه!، وكيف يضرب مثلا للعزة فلانا وفلانا ويستحيي أن يذكر الحسن المجتبى عزيز الله في أرضه وسمائه!، فانظر كيف يضرب لنا الأمثال !.

ولا نزيد على ما أرشد له الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد يصف أبا محمد الحسن عليه السلام في هدنته مع معاوية بن أبي سفيان، قال بعد ذكر محاولة قتله من بعض الفسقة الخوارج:

" وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن، فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي، وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فأقره الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل بنفسه يعالج جرحه.

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السر، واستحثوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به، وبلغ الحسن ذلك، وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضي الله عنه وكان قد أنفذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة، ليلقى معاوية فيرده عن العراق، وجعله أميرا على الجماعة وقال : " إن أصبت فالأمير قيس بن سعد "، فوصل كتاب ابن سعد يخبره أنهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الحبونية بإزاء مسكن، وأن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس يرغبه في المصير إليه، وضمن له ألف ألف درهم، يعجل له منها النصف، ويعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة، فانسل عبيد الله بن العباس في الليل إلى معسكر معاوية في خاصته، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم، فصلى بهم قيس رضي الله عنه ونظر في أمورهم.

فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له، وفساد نيات المحكمة فيه بما أظهروه له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام.

فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطا كثيرة وعقد له عقودا كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله بذلك واغتياله، غير أنه لم يجد بدا من إجابته إلى ما التمس (من ترك) الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان في خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة .

فتوثق عليه السلام لنفسه من معاوية لتأكيد الحجة عليه، والاعذار فيما بينه وبينه عند الله عز وجل وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والعدول عن القنوت عليه في الصلوات، وأن يؤمن شيعته رضي الله عنهم ولا يتعرض لأحد منهم

بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق منهم حقه، فأجابه معاوية إلى ذلك كله، وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به .

فلقا استتمت الهدنة على ذلك، سار معاوية حتى نزل بالنخيلة، وكان ذلك يوم جمعة فصلى بالناس ضحى النهار، نخطبهم وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون، ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له.

ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أياما، فلا استتمت البيعة له من أهلها، صعد المنبر نخطب الناس، وذكر أمير المؤمنين عليه السلام فنال منه ونال من الحسن، وكان الحسن والحسين صلوات الله عليهما حاضرين، فقام الحسين ليرد عليه فأخذ بيده الحسن فأجلسه ثم قام فقال: " أيها الذاكر عليا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرا، وألأمنا حسبا، وشرنا قدما، وأقدمنا كفرا ونفاقا " فقال طوائف من أهل المسجد: آمين آمين.

ولما استقر الصلح بين الحسن صلوات الله عليه وبين معاوية على ما ذكرناه، خرج الحسن عليه السلام إلى المدينة فأقام بها كاظما غيظه، لازما منزله، منتظرا لأمر ربه جل اسمه، إلى أن تم لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد ... "[١] إلى آخر كلامه رفع مقامه.

فكيف يرضى الحسن عليه السلام بالذل والهوان!، وكيف يقار الظالم على ظلمه !، ولسان حال الثائرين الذين لا يرعون دما ولا عرضا والذين على أعينهم غشاوة الثأر لا تبصر مصالح الحق وتبيح كل باطل في سبيل الغرض عمى وجهالة واتكالا على الاستحسان وأحكام العقول القاصرة، لسانهم كلسان من سلم على أميره الحسن عليه السلام بعد الصلح بقوله: السلام على مذل المؤمنين، فأجابه أبو محمد الحسن: " يا سفيان، إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به "[٢].

---

(١) الإرشاد ٢: ١٢-١٥.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٤.

ولم يختلف الإمام عن أبيه الإمام ... ركونا للسلم والهدنة تغليبا لمصلحة الدين، فلم ينازع أحدا في ملكه وسلطانه، ولم ينزع للخديعة والغلبة بها حاشاه وهو سبط من الأسباط وسيد شباب أهل الجنة

الحسين عليه السلام في الهدنة الثانية

وأما الحسين عليه السلام فقد وصفه الشيخ المفيد بأخصر وصف وأوضح مذهب من الالتزام بالهدنة - حتى موت معاوية - عندما قال فيه:

" فَكَانَتْ إِمَامَةُ الْحُسَيْنِ ع بعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ بِمَا قَدَّمْنَاهُ ثَابِتَةً وطَاعَتُهُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ لَازِمَةً وإِنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى نَفْسِهِ ع لِلتَّقِيَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا والْهُدْنَةِ الْحَاصِلَةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَالْتَزَمَ الْوَفَاءَ بِهَا وجَرَى فِي ذَلِكَ مَجْرَى أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وثُبُوتِ إِمَامَتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ ص مَعَ الصُّمُوتِ وإِمَامَةِ أَخِيهِ الْحَسَنِ ع بعْدَ الْهُدْنَةِ مَعَ الْكَفِّ والسُّكُوتِ، فَكَانُوا فِي ذَلِكَ عَلَى سُنَنِ نَبِيِّ اللَّهِ ص وهُوَ فِي الشِّعْبِ مَحْصُورٌ وعِنْدَ خُرُوجِهِ مُهَاجِراً مِنْ مَكَّةَ مُسْتَخْفِياً فِي الْغَارِ وهُوَ مِنْ أَعْدَائِهِ مَسْتُورٌ.

فَلَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ وانْقَضَتْ مُدَّةُ الْهُدْنَةِ الَّتِي كَانَتْ تَمْنَعُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ع مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى نَفْسِهِ أَظْهَرَ أَمْرَهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وأَبَانَ عَنْ حَقِّهِ لِلْجَاهِلِينَ بِهِ حَالًا بِحَالٍ، إِلَى أَنِ اجْتَمَعَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ الْأَنْصَارُ"[1].

---

١ الإرشاد ٢: ٣١.

ويمكن معرفة حال الحسين عليه السلام في زمن الهدنة الثانية التي كان هو الإمام المفترض الطاعة فيها بدراسة بعض نصوص تلك الفترة.

فمن كتاب معاوية الى الحسين عليه السلام :

ما رواه الكشي في كتابه قال:

" رُوِيَ أنَّ مَروانَ بنَ الحَكَمِ كَتَبَ إلى مُعاوِيَةَ ـ وهُوَ عامِلُهُ عَلَى المَدينَةِ ـ : أمّا بَعدُ، فَإِنَّ عَمرَو بنَ عُثمانَ ذَكَرَ أنَّ رِجالاً مِن أهلِ العِراقِ ووُجوهِ أهلِ الحِجازِ، يَختَلِفونَ إلَى الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ، وذَكَرَ أنَّهُ لا يَأمَنُ وُثوبَهُ، وقَد بَحَثتُ عَن ذلِكَ فَبَلَغَني أنَّهُ يُريدُ الخِلافَ يَومَهُ هذا، ولَستُ آمَنُ أن يَكونَ هذا أيضا لِما بَعدَهُ ،فَاكتُب إلَيَّ بِرَأيِكَ في هذا، وَالسَّلامُ".

فَكَتَبَ إلَيهِ مُعاوِيَةُ:

أمّا بَعدُ: فَقَد بَلَغَني كِتابُكَ وفَهِمتُ ما ذَكَرتَ فيهِ مِن أمرِ الحُسَينِ، فَإِيّاكَ أن تَعرِضَ لِلحُسَينِ في شَيءٍ، وَاترُك حُسَينا ما تَرَكَكَ، فَإِنّا لا نُريدُ أن تَعرِضَ لَهُ في شَيءٍ ما وَفى بِبَيعَتِنا ولَم يَنزُ عَلى سُلطانِنا، فَاكمُن عَنهُ ما لَم يُبدِ لَكَ صَفحَتَهُ، وَالسَّلامُ .

فَلَمّا وَصَلَ الكِتابُ إلَى الحُسَينِ عليه السلام كَتَبَ إلَيهِ:

أمّا بعدُ، فقد بلغني كتابُكَ تذكُرُ أنَّهُ قد بلَغَكَ عنّي أُمورٌ أنتَ لي عنها راغِبٌ وأنا لغيرِها عِندَكَ جَديرٌ، فإنَّ الحَسَناتِ لا يَهدي لها ولا يُرُدُّ إليها إلّا اللهُ.

وأمّا ما ذَكَرتَ أنَّهُ انتَهى إليكَ عَنّي، فإنَّهُ إنّما رَقاهُ إليكَ المَلّاقونَ المَشّاؤونَ بِالنَّميمِ، وما أُريدُ لَكَ حَربا ولا عَلَيكَ خِلافا، وَايمُ اللّهِ، إنّي لَخائِفُ اللّهِ في تَركِ ذلِكَ، وما أظُنُّ اللّهَ راضِيا بِتَركِ ذلِكَ، ولا عاذِرا بِدونِ الإعذارِ فيهِ إلَيكَ، وفي أولِيائِكَ القاسِطينَ المُلحِدينَ حِزبِ الظَّلَمَةِ وأولِياءِ الشَّياطينِ"(١).

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة كتب إليه الحسين عليه السلام :

أمّا بعدُ، فقَد جاءَني كِتابُكَ تَذكُرُ فيهِ أنَّهُ انتَهَت إلَيكَ عَنّي أُمورٌ لَم تَكُن تَظُنُّني بِها رَغبَةً بي عَنها، وإنَّ الحَسَناتِ لا يَهدي لَها ولا يُسَدِّدُ إلَيها إلَا اللّهُ تَعالى.

وأمّا ما ذَكَرتَ أنَّهُ رُقِّيَ إلَيكَ عَنّي، فَإِنَّما رَقّاهُ المَلّاقونَ المَشّاؤونَ بِالنَّميمَةِ المُفَرِّقونَ بَينَ الجَمعِ، وكَذَبَ الغاوونَ المارِقونَ، ما أرَدتُ حَربا ولا خِلافا، وإنّي لَأَخشَى للّهَ في تَركِ ذلِكَ مِنكَ ومِن حِزبِكَ القاسِطينَ

---

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٢٥٢.

المُحِلّينَ، حِزبِ الظّالِمِ وأعوانِ الشَّيطانِ الرَّجيمِ ... حتى قال: أَبشِر يا مُعاوِيَةُ بِالقِصاصِ وَاستَيقِن بِالحِسابِ، وَاعلَم أَنَّ للهِ تَعالى كِتابا لا يُغادِرُ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً إلّا أحصاها، ولَيسَ اللهُ بِناسٍ لِأَخذِكَ بِالظِّنَّةِ وقَتلِكَ أولِياءَهُ عَلَى التُّهَمِ، ونَقلِ أولِيائِهِ مِن دورِهِم إلى دارِ الغُربَةِ، وأخذِكَ لِلنّاسِ بِبَيعَةِ ابنِكَ غُلامٍ حَدَثٍ، يَشرَبُ الخَمرَ، ويَلعَبُ بِالكِلابِ. لا أعلَمُكَ إلّا وقَد خَسِرتَ نَفسَكَ وأوبَقتَ دينَكَ، وغَشَشتَ رَعِيَّتَكَ، وأخرَبتَ أمانَتَكَ، وسَمِعتَ مَقالَةَ السَّفيهِ الجاهِلِ، وأَخَفتَ الوَرِعَ التَّقِيَّ لِأَجلِهِم، وَالسَّلامُ "(١) إلى آخر الكتاب.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٥٤-١٥٥.

الْتَزَمَ –الحسين ع– الْوَفَاءَ بِهَا وجَرَى فِي ذَلِكَ مَجْرَى أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وثُبُوتِ إِمَامَتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ ص مَعَ الصَّمتِ، وإِمَامَةِ أَخِيهِ الْحَسَنِ ع بَعْدَ الْهُدْنَةِ، مَعَ الْكَفِّ والسُّكُوتِ، فَكَانُوا فِي ذَلِكَ عَلَى سُنَنِ نَبِيِّ اللَّهِ ص وهُوَ فِي الشِّعْبِ مَحْصُورٌ وعِنْدَ خُرُوجِهِ مُهَاجِراً مِنْ مَكَّةَ مُسْتَخْفِياً فِي الْغَارِ وهُوَ مِنْ أَعْدَائِهِ مَسْتُورٌ ...

أحوال الأئمة عليه السلام في الهدنة الثالثة

ثم بدأت الهدنة الثالثة، هدنة على السلم والتوافق بين طوائف الإسلام والأمم، لا صراع على سلطة ولا حراك على غير ما أمر به الإمام عليه السلام من الصبر والتلطف بالمسلمين ومعونة العادل من ولاتهم وتجنب الطاغي منهم، لا خفاء في فعلهم ولا مطامع في دولة المتغلب بالسلطان ومن انقاد لأمره ونهية الناس، حتى استقر أمر بعض الشيعة على العمل بهذه السنة، وزاغ آخرون عنها فكانوا كمن قتلَ أهل البيت عليهم السلام عامدا وبذل الذريعة للوشاة عليهم عند الأمراء فاستحلوا دمائهم الطاهرة ظلما وجورا، ونكتفي هنا بذكر شاهد من سيرتهم:

قال القاضي النعماني الإسماعيلي في شرح الأخبار في الجزء الرابع عشر المخصص لأحوال الصادق عليه السلام:

" وسعي بجعفر بن محمد عليه السلام إلى أبي الدوانيق.

فقال للربيع - حاجبه - : يا ربيع، ائتني بجعفر، قتلني الله إن لم أقتله ، فجاء به الربيع .

قال الربيع: فلما قرب منه حرك شفتيه.

فلما دخل عليه قال له: يا جعفر تحاول الفتنة وتريد سفك دماء المسلمين وتلحد في سلطاني وتبتغي الغوائل.

فقال له جعفر بن محمد: يا أمير المؤمنين ما فعلت ذلك ولا أردته، فقد علمت قديما ما أنا عليه، فلا تقبل علي من كاذب إن كذب وساع إن سعى بي عندك.

فسكت، ثم قال: يا أبا عبد الله، والله إني لأعلم [ما] أنت عليه قديما كما ذكرت، ولو كنت قد فعلت ما قيل لك فقد ابتلي أيوب فصبر، وظلم يوسف فغفر، وأعطى سليمان فشكر.

[فقال :] وهؤلاء أنبياء الله إليهم يرجع أنسابنا، ارتفع إلى هاهنا .

فرفعه إليه، وأجلسه على فراشه إلى جانبه، ثم دعا برجل فقال:

ألست القائل عن هذا كذا وكذا ؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين

قال: فسمعت ذلك منه، أو بلغك عنه ؟

قال: بل سمعت بأذني

قال: أفتحلف على ذلك ؟

قال: نعم

قال: فقل: والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب

فقال جعفر بن محمد عليه السلام: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تجعل استحلافه إلي، فأستحلفه بما شئت

[ثم] قال: يا أمير المؤمنين، إن العبد إذا وحد الله ومجده وحلف بعد ذلك لم ينتقم الله منه، وإن كذب في الدنيا .

ثم أقبل على الرجل فقال له: تحلف بما أستحلفك به ؟

قال: نعم

قال عليه السلام: فاتق الله في نفسك ولا تحلف كاذبا واستقبل أمير المؤمنين، وقل الحق

قال: ما قلت إلا ما سمعته منك ولا أرجع

قال جعفر بن محمد عليه السلام : اللهم أنت الشاهد عليه والعالم بقوله.

ثم أقبل عليه، وقال له: قل إن كنت حالفا: (برئت من [حول] الله وقوته، وأسلمت إلى حولي وقوتي إن لم يكن جعفر بن محمد قال كذا وكذا)

فقال الرجل ذلك، فما برح مكانه حتى صرع، فمات.

قال أبو الدوانيق: خذوا برجليه لعنه الله.

فجروه حتى أخرجوه، وعطف أبو الدوانيق على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يسترضيه.

ثم قال: انصرف يا أبا عبد الله فإني أخشى أن يسوء ظن أهلك بنا فيك.

فلما انصرف لحقه الربيع فقال: يا بن رسول الله لقد دخلت عليه، وما ظننت إلا أنه سيقتلك لما رأيت من حنقه عليك، ويمينه أنه ليقتلك، فلما دخلت إليه رأيتك حركت شفتيك، فنظرت إليه قد حال عما كان لك عليه، وما أراك إلا دعوت الله تعالى، فعلمني ما دعوت .

قال : دعوت بدعاء جدي الحسين بن علي عليه السلام .

قال : وما هو، جعلت فداك ؟

قال : قلت : يا عدتي عند شدتي، ويا غوثي عند كربتي، احرسني بعينك التي لا تنام، واكفني برحمتك التي لا ترام[1].

---

(١) أفتحسب الصادق عليه السلام علم دعاء جده الحسين واقتفاه وغفل عن أمر استنبطه المتأخرون سموه بثورة الحسين وشبهوه بأعمالهم وأحكام عقولهم !، فما اتبعوا إلا من جعل القرآن عضين ومن ركن إلى ركن غير متين، هدانا الله وإياهم أجمعين.

توضيح وبيان من القاضي النعمان

ثم قال: وقول جعفر بن محمد لأبي الدوانيق: (قد علمت قديما ما أنا عليه) وقول أبي الدوانيق أنه يعلم ذلك .

فإنما ذكَّرهُ شيئا قد كان شاهده منه، وذلك أنه كان يوما في أيام بني أمية جعلوا يستحثونه على القيام، ويذكرون كثرة أوليائه، وكان أكثرهم قولا أبو الدوانيق، فضرب أبو عبد الله عليه السلام [على] فخذ أبي الدوانيق .

ثم قال له: أما بلغك قول أبي لأخيه زيد لما هم بالقيام : " ويحك يا زيد احذر أن تكون غدا المصلوب بالكناسة، إنا أهل بيت لا يقوم منا قائم قبل أوان قيام مهدينا إلا كان كمثل فرخ طائر نهض عن عشه قبل أن يستوي جناحاه فما هو أن يستقل مرة أو مرتين بالطيران حتى سقط، فيأخذه الصبيان يتلاعبون به " .

فقال له: متى يكون قيام مهديكم يا بن رسول الله ؟

فقال: والله لا يكون ذلك حتى يتلاعب أنت وذريتك من بعدك بهذا الأمر دهرا طويلا .

فقال له أبو الدوانيق: أنا يا بن رسول الله ؟

قال: نعم، أنت .

فكان ذلك مما صرف الله عنه به شره.

فإذا سعى به إليه، وقيل له فيه ذكر هذا الحديث، فعلم أنه لا يقوم عليه"(١).

وبعد هذا كله، فلا معنى لتخصيص الهدنة بالأحكام الفرعية المعروفة كالحكم بطهارة كل المسلمين ومعاملتهم، بل هو معنى مترتب على المعنى الحقيقي للمهادنة ومتناسق مع سهولة وسماحة الدين والملة وأغراضه العالية في حفظ الدماء والحدود والمصالح، ويكفيك أنه سبحانه رتب درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجعل أقصاها إنكار الجوارح وأدناها إنكار القلوب والجوانح وهي أكثر الموارد؛ لعلمه سبحانه أن اقتضاء الصلاح لا يكون برفع الحراب في صغائر الأمور ولا يورث إلا الندم والدم في عظائمها ولا يصلح لها إلا حكم من عرف الدين كله وترك الاجتهاد والقياس وترفع عن أغراض الدنيا وطلبها، وما وجدنا من هؤلاء معصوما إلا الذين استخلفهم الله بعد نبيه المصطفى

---

(١) شرح الأخبار ٣: ٣٠٢.

ص، وقرنهم بالثقل الأكبر، أعني الثقل الأصغر أهل بيته المعينين وآله المنتجبين.

ولنترك الإطالة في التفصيل - حتى لا نخرج من غرض الرسالة الكلي - للكتب الطوال في أحوال السجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والحجة المهدي عليهم السلام، فانظر: ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (١).

جرت سنة الله في الأنبياء والأوصياء والصالحين على ترك معارضة الملوك في حكمهم وبذل النصح والمعروف ما أمكن ...

---

(١) الملك: ٤.

التحريف في سيرة الحسين عليه السلام

الحسين لم يُبيِّت القيام والاستشهاد

وأما ما استدل به البعض - على أن الحسين عليه السلام قد بيَّت نية القيام فور انحلاله من العهد مع معاوية بعد موته باذلا دمه مغمضا عن العواقب عينه - بما رواه الشيخ المفيد في إرشاده، قال:

" ما رَواهُ الكَلبِيُّ وَالمَدائِنِيُّ وغَيرُهُما مِن أصحابِ السّيرَةِ، قالوا: لَمّا ماتَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ عليه السلام، تَحَرَّكَتِ الشّيعَةُ بِالعِراقِ وكَتَبوا إلَى الحُسَينِ عليه السلام في خَلعِ مُعاوِيَةَ وَالبَيعَةِ لَهُ، فَامتَنَعَ عَلَيهِم وذَكَرَ أنَّ بَينَهُ وبَينَ مُعاوِيَةَ عَهدا وعَقدا لا يَجوزُ لَهُ نَقضُهُ حَتّى تَمضِيَ المُدَّةُ، فَإِن ماتَ مُعاوِيَةُ نَظَرَ في ذلِكَ ".

فليس فيه دلالة على العزم الحتمي على القيام؛ بل فيه من التردد وانتظار الأمر كيف يسفر ما هو صريح لا يخفى!، كما انتظر علي والحسن عليهما السلام، بل في استعلامه لحال أهل الكوفة بإرسال سفيره مسلم بن عقيل وغيره يعلم حال الحسين من الاحتياط للأمر وسيأتيك تفصيل أكثر في مقام آخر.

ولا ننكر أصل ومشروعية إنكار الظلم لولا نهي الشارع عن مناكفة الحكام حتى قيام الإمام ع وتحت راية المعصوم، وما يحمله هذا النهي عن القيام من حكمة حفظ الدين عن الضياع وتفرق الأمة بعد الاجتماع غير خفي على العاقل.

توفر الناصر للحسين عليه السلام والبيعة له وحده

بل روى الشيخ المفيد حال أهل الكوفة بعد موت معاوية وامتناع الحسين عن البيعة قال:

"وَ بَلَغَ أَهْلَ الْكُوفَةِ هَلَاكُ مُعَاوِيَةَ، فَأَرْجَفُوا بِيَزِيدَ وعَرَفُوا خَبَرَ الْحُسَيْنِ ع وامْتِنَاعَهُ مِنْ بَيْعَتِهِ ومَا كَانَ مِنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي ذَلِكَ وخُرُوجِهِمَا إِلَى مَكَّةَ، فَاجْتَمَعَتِ الشِّيعَةُ بِالْكُوفَةِ فِي مَنْزِلِ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ فَذَكَرُوا هَلَاكَ مُعَاوِيَةَ فَحَمِدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ هَلَكَ وإِنَّ حُسَيْناً قَدْ تَقَبَّضَ عَلَى الْقَوْمِ بِبَيْعَتِهِ، وقَدْ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، وأَنْتُمْ شِيعَتُهُ وشِيعَةُ أَبِيهِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ نَاصِرُوهُ

ومُجَاهِدُو عَدُوِّهِ فَأَعْلِمُوهُ، وإِنْ خِفْتُمُ الْفَشَلَ والْوَهْنَ فَلَا تَغُرُّوا الرَّجُلَ فِي نَفْسِهِ، قَالُوا: لَا، بَلْ نُقَاتِلُ عَدُوَّهُ ونَقْتُلُ أَنْفُسَنَا دُونَه"(١).

تراجع الحسين ع عن جهاد يزيد بعد خذلان القوم

والعجب من القوم الذين ادعوا أن الحسين عليه السلام خرج ثائرا وأنه عاند في الأمر حتى آخر يوم، كيف غاب عنهم ما ذكره أرباب المقاتل المعتبرة، كالفقيه المفيد في الإرشاد، قال:

"وَ لَمَّا رَأَى الْحُسَيْنُ نُزُولَ الْعَسَاكِرِ مَعَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بِنَيْنَوَى ومَدَدَهُمْ لِقِتَالِهِ، أَنْفَذَ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَلْقَاكَ، فَاجْتَمَعَا لَيْلًا فَتَنَاجَيَا طَوِيلًا، ثُمَّ رَجَعَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى مَكَانِهِ وكَتَبَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْفَأَ النَّائِرَةَ وجَمَعَ الْكَلِمَةَ وأَصْلَحَ أَمْرَ الْأُمَّةِ، هَذَا حُسَيْنٌ قَدْ أَعْطَانِي عَهْداً أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَتَى مِنْهُ أَوْ أَنْ يَسِيرَ إِلَى ثَغْرٍ مِنَ الثُّغُورِ فَيَكُونَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مَا لَهُمْ وعَلَيْهِ

---

(١) الإرشاد ٢: ٥٣٦.

مَا عَلَيْهِم، أَوْ أَنْ يَأْتِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ فَيَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ فَيَرَى فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ رَأْيَهُ، وَفِي هَذَا لَكُمْ رِضًى وَلِلْأُمَّةِ صَلَاحٌ.

فَلَمَّا قَرَأَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْكِتَابَ قَالَ: هَذَا كِتَابُ نَاصِحٍ مُشْفِقٍ عَلَى قَوْمِهِ.

فَقَامَ إِلَيْهِ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فَقَالَ: أَ تَقْبَلُ هَذَا مِنْهُ وَقَدْ نَزَلَ بِأَرْضِكَ وَإِلَى جَنْبِكَ، وَاللَّهِ لَئِنْ رَحَلَ مِنْ بِلَادِكَ وَلَمْ يَضَعْ يَدَهُ فِي يَدِكَ لَيَكُونَنَّ أَوْلَى بِالْقُوَّةِ وَلَتَكُونَنَّ أَوْلَى بِالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ، فَلَا تُعْطِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَإِنَّهَا مِنَ الْوَهْنِ، وَلَكِنْ لِيَنْزِلْ عَلَى حُكْمِكَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَإِنْ عَاقَبْتَ فَأَنْتَ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ وَإِنْ عَفَوْتَ كَانَ ذَلِكَ لَكَ.

قَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ الرَّأْيُ رَأْيُكَ، اخْرُجْ بِهَذَا الْكِتَابِ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ فَلْيَعْرِضْ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ النُّزُولَ عَلَى حُكْمِي، فَإِنْ فَعَلُوا فَلْيَبْعَثْ بِهِمْ إِلَيَّ سِلْماً وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَلْيُقَاتِلْهُمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ، وَإِنْ أَبَى أَنْ يُقَاتِلَهُمْ فَأَنْتَ أَمِيرُ الْجَيْشِ وَاضْرِبْ عُنُقَهُ وَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ.

وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ: أَنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ إِلَى الْحُسَيْنِ لِتَكُفَّ عَنْهُ وَلَا لِتُطَاوِلَهُ وَلَا لِتُمَنِّيَهُ السَّلَامَةَ وَالْبَقَاءَ وَلَا لِتَعْتَذِرَ لَهُ وَلَا لِتَكُونَ لَهُ عِنْدِي شَافِعاً، انْظُرْ فَإِنْ نَزَلَ حُسَيْنٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى حُكْمِي وَاسْتَسْلَمُوا فَابْعَثْ

بِهِمْ إِلَيَّ سِلْماً، وإِنْ أَبَوْا فَازْحَفْ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَقْتُلَهُمْ وتُمَثِّلَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ مُسْتَحِقُّونَ، وإِنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَوْطِئِ الْخَيْلَ صَدْرَهُ وظَهْرَهُ فَإِنَّهُ عَاتٍ ظَلُومٌ، ولَيْسَ أَرَى أَنَّ هَذَا يَضُرُّ بَعْدَ الْمَوْتِ شَيْئاً، ولَكِنْ عَلَيَّ قَوْلٌ قَدْ قُلْتُهُ: لَوْ قَتَلْتُهُ لَفَعَلْتُ هَذَا بِهِ، فَإِنْ أَنْتَ مَضَيْتَ لِأَمْرِنَا فِيهِ جَزَيْنَاكَ جَزَاءَ السَّامِعِ الْمُطِيعِ، وإِنْ أَبَيْتَ فَاعْتَزِلْ عَمَلَنَا وجُنْدَنَا وخَلِّ بَيْنَ شِمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ وبَيْنَ الْعَسْكَرِ؛ فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَاهُ بِأَمْرِنَا، والسَّلَامُ.

فَأَقْبَلَ شِمْرٌ بِكِتَابِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ وقَرَأَهُ قَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا لَكَ وَيْلَكَ لَا قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ، قَبَّحَ اللَّهُ مَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَيَّ، واللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ أَنَّكَ نَهَيْتَهُ أَنْ يَقْبَلَ مَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْهِ وأَفْسَدْتَ عَلَيْنَا أَمْرَنَا قَدْ كُنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَصْلُحَ، لَا يَسْتَسْلِمُ واللَّهِ حُسَيْنٌ إِنَّ نَفْسَ أَبِيهِ لَبَيْنَ جَنْبَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ شِمْرٌ: أَخْبِرْنِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ، أَ تَمْضِي لِأَمْرِ أَمِيرِكَ وتُقَاتِلُ عَدُوَّهُ وإِلَّا نَخَلِّ بَيْنِي وبَيْنَ الْجُنْدِ والْعَسْكَرِ.

قَالَ: لَا لَا واللَّهِ ولَا كَرَامَةَ لَكَ، ولَكِنْ أَنَا أَتَوَلَّى ذَلِكَ، فَدُونَكَ فَكُنْ أَنْتَ عَلَى الرَّجَّالَةِ.

وَنَهَضَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ لِتِسْعٍ مَضَيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ"(١).

فإنه مع غض النظر عن كون الرسالة بقلم عمر بن سعد، وما قيل من تحريفه لمطلب الحسين ع في التخيير بين أن يكون في ثغر من الثغور أو أن يصير ليزيد فيضع يده بيده - المردود برواية ابن كثير قال: روى أبو مخنف عن عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سمعان قال: لقد صحبت الحسين من مكة إلى حين قتل، والله ما من كلمة قالها في موطن إلا وقد سمعتها، وإنه لم يسأل (من القوم) أن يذهب إلى يزيد فيضع يده إلى يده، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور، ولكن طلب منهم أحد أمرين: إما أن يرجع من حيث جاء، وإما أن يدعه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه" – مع غض النظر عن كل هذا، فلا ريب أن المصادر قد اتفقت على تفاوض الحسين ع على رحيله لموضع آخر بعد خيانة من بايعه، وأنه لا ينزل على حكم ابن زياد ولا يزيد فيوافقهم الرأي على الطغيان؛ لعلمه بأنهم قاتلوه وقد بيتوا النية لها قبلا في مكة والمدينة، ولا تسمى غيرته على أهله صلوات ربي عليه ثورة بمصطلح

---

(١) الإرشاد ٢: ٨٩.

أهل القيام والثورات، ولم يكن عليه السلام طالب حكم ورئاسة للدنيا، بل لما اجتمع له شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يسغ له التخلف بعد البيعة، قام بتكليفه، ولما خلت الشروط فرق الناس عنه وهو في أمس الحاجة لهم، وبقى دفاعه عن نفسه وأهله، وهو وصحبه الكرام يعلمون أن لا مصير لهم على أي حال إلا الفوز بالشهادة.

والسلام على الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين استشهدوا بين يدي الحسين عليه السلام.

لما اجتمع للحسين شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يسغ له التخلف بعد البيعة، قام بتكليفه، ولما خلت الشروط فرق الناس عنه وهو في أمس الحاجة لهم، وبقى يدفع عن نفسه وأهله ...

الفصل الثاني:

تحقيق حال الشعارات الثورية المنسوبة لأهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله.

أدلة القيام من شعارات وخطب منسوبة للحسين عليه السلام

وقد أصر كثير من المعاصرين من أهل القيام والثورات على ضرب الأمثلة من كلام الحسين عليه السلام وخطبه واستدلوا بها على ثورية حركته ودمويتها عن قصد، وتحشيده الناس لبذل دمائهم بلا روية، ولو ساء أمر الإسلام وانتهكت حرماته أكثر من ذي قبل، زعما منهم أن العزة في هذا السبيل، واخترع البعض أراجيز وأشعارا نسبها أو ألقاها على لسان حال الحسين عليه السلام، فألغوا بهذا كل دلالات نصوص المهادنة، أو تصرفوا بدلالاتها بالمعارضة تصرفا شنيعا، وابتدعوا أصلا بين الأحكام غير أصيل عند معاشر الشيعة قاطبة، كما يأتيك توضيحه[١].

---

[١] طالع للمزيد كتاب (حرمة القيام في غيبة الإمام).

المثال الأول:

خطبة: خط الموت على ولد آدم ...كأني بأوصالي تقطعها

ومما ذكروه في جملة أدلتهم، الخطبة التي رواها السيد ابن طاووس رحمه الله في كتابه اللهوف (٦٦٤ هـ)، قال:

" ورُوِيَ أَنَّهُ ع لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْعِرَاقِ قَامَ خَطِيباً فَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ ما شاءَ اللَّهُ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، ومَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وخُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَتَقَطَّعُهَا عَسَلَانُ الْفَلَوَاتِ بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وكَرْبَلَاءَ، فَيَمْلَأْنَ مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً وأَجْرِبَةً سُغْباً، لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى اللَّهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ ويُوَفِّينَا أَجْرَ الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص لُحْمَتُهُ وهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ

وَيُنْجِزُ بِهِمْ وَعْدَهُ، مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مُهْجَتَهُ ومُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا، فَإِنَّنِي رَاحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى"(١).

ورواها قبل السيد -مرسلة من غير إسناد(٢)- الحسين بن محمد بن الحسن بن مصر الحلواني (توفي في القرن الخامس وكان حيا سنة ٤٨١هـ معاصرا للسيد المرتضى ومحدثا عنه ومعاصرا للشيخ الطوسي) في كتابه نزهة الناظر وتنبيه الخواطر، قال: "وَ لَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ قَامَ خَطِيباً، فَقَال ..." (٣) إلى تمام الخبر.

ثم أبو الحسين مسعود بن عيسى ورَّام بن أبي فراس (ت ٦٠٥هـ) في مجموعِه.

ورواها مرسلة أيضا الإربلي (ت ٦٩٣هـ) في كشف الغمة.

لكن ابن نما (ت ٦٤٥هـ) في مثير الأحزان رواها هكذا:

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف: ٦٠-٦١.

(٢) قال المصنف في أول الكتاب ص ٩: "حذفت الأسانيد حتى لا يخرج الكتاب عن الغرض المقصود في الاختصار".

(٣) نزهة الناظر: ٨٦.

"عن الشعبي عن عبد الله بن عمر: أنه كان بماء له فبلغه أن الحسين (ع) قد توجه إلى العراق فجاء إليه وأشار عليه بالطاعة والانقياد وحذره من مشاققة أهل العناد، فقال: يا عبد الله أما علمت أن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا (ع) أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل ... ثم قال له: اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي.

ثم قام خطيبا فقال: الحمد لله وما شاء الله ولا قوه إلا بالله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ... فإني راحلٌ مصبحا إن شاء الله. ثم أقبل الحسين حتى مر بالتنعيم"(١).

وظاهره عطف (ثم قام) على الحديث السابق بحسب السياق، فيكون قد وضع الخطبة ضمن ما رواه الشعبي عن عبد الله بن عمر، لكنَّه منصرفٌ عن ظاهره بما عرف من طريقة الكتّاب في الاختصار وترادف الأخبار والأحداث مسندة ومرسلة، سيما أنه روى لقياه لعبد الله بن عمر بعد بدء توجهه للعراق، ثم ذكر خطبته هذه التي أعلن فيها نية التوجه، فبينهما تهافت محتمل.

---

(١) مثير الأحزان: ٣٠.

بل سبقه إليه البيهقي (ت ٤٨٥هـ) في سننه الكبرى[١] دون ذكر لأي خطبة.

فهذا الخبر مرسلٌ ككثير من أخبار السير، وغير جامع للحجية في مقام الاستدلال، ولا قام بشروط الدلالة التاريخية لو قيل بالتفريق بين الحجية وروايات التاريخ والأحداث، متفرد، ما ذكرها أحد ممن يعتمد قولهم إلا من يعتمد المراسيل، فضلا عن ضعف الكتب الناقلة وعدم خفاء حال أصحابها في الرواية والدراية، إلا عند بعض من يبالغ في توصيف الرجال ولا يفرق بين وصف الرواية والراوي.

وإنه ليتداخل الشك القوي في صحة هذه المرسلات صدورا وتحققا، إذ لا يتناسب الإعلان في الملأ عن حتمية مقتله عليه السلام مع ما كان عليه من الاستجابة لدعوة الكوفيين، وما كان عليه النَّاس من الاحتفاف به والسَّماع منه، بل واللَّحاق به حتى حلَّ قريبَ كربلاء قبل أن يتفرقوا عنه، ولا أرتاب أن خبر مصرعه عليه السلام من الأسرار المغيَّبة المكتومة التي ما عرفها إلا قلةٌ من أهل بيته ومن ظفر بها من حملة الأخبار.

---

(١) السنن الكبرى ٧: ١٠٠/ بابا ما جاء في قبلة الرجل ولده.

وعلى هذا يبتني الجواب عن شبهة أن الحسين عليه السلام أسس لمشروعية القيام بالسيف والثورة مهما كانت العواقب والمآلات تمسكا بمبدأ العزة المدعاة، مع أن العزة في خلاف القيام أغلب الأزمان وملازمة لموافقة أئمة الإيمان؛ فإنه لا دلالة لمثل هذه النصوص على المدعى؛ إما لضعف جملة منها، أو لاستبعاد إذاعتها علنا لتكون منهجا عاما يغني الناس عن التمسك بالأسباب والأخذ بظواهر الأمور، والتي ذكرنا أنها كانت مجتمعة للحسين عليه السلام وما قام إلا بعدها كما هو صريح الروايات.

الخطبة من تراث الزيدية

ثم لا تعجب إن ساقك البحث والتقصي فوجدتها مشهورة في كتب الزيدية مسندة مشروحة، متصلة بزيد مروية عن قومه، بل هي المنحصر طريقها بهم، وعنهم أخذ القوم !.

فهذا إمام الزيدية في طبرستان أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسيني الزيدي[١] (ت ٣٥٣ هـ) يروي في كتابه المصابيح في السيرة في نسخة كثيرة الغلط، فيقول بطريق فيه إرسال:

"وأخبرنا محمد بن عبد الله بن أيوب البجلي بإسناده عن زيد بن علي عن أبيه عليهم السلام أن الحسين (صلوات الله عليه) خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس خُطَّ الموت على ابن آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، ما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وأخيه، وإن لي لمصرعاً أنا لاقيه، كأني أنظر إلى أوصالي تقطعها عسْلان الفلوات، غُبراً عُفراً بين كربلاء وبراريس [نواويس] قد ملأت مني أكراشاً جوفاً، رضا الله رضانا أهل البيت، فصبراً على بلائه ليوفينا أجر الصابرين، لن تشذ عن رسول الله حرمته وعترته، ولن تفارقه أعضاؤه وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز لهم عدته، من كان فينا باذلاً

---

(١) في معجم الرجال: " أحمد بن إبراهيم بن أحمد: السيد أبو العباس الحسيني (الحسني): فاضل، ثقة. الفهرست للشيخ منتجب الدين". وقيل أنه كان إماميا ثم تزيد، دخل الري لطلب الحديث وصار إمامهم، وبرروا له عدم قيامه بكثرة الموانع عنه !. انظر مقدمة محقق كتابه المصابيح.

مهجته فليرحل فإني راحل غداً إن شاء الله عزَّ وجل، ثم نهض إلى عدوه فاستشهد (صلوات الله عليه)"[1].

وهو أقدم مصدر لها بل هو الوحيد اليتيم الذي وجدنا هذه الخطبة فيه، ولا تجد فيها أنه قالها في خروجه من مكة أو في حال توجهه للعراق كما نقله المتأخرون عنه !، ولعلهم نسبوها للحسين ع لما رأوا ذكر كربلاء، وأغفلوا أنه عيَّن القتلةَ بين كربلاء وما سماها براريس في هذه النسخة، ونقلها المتأخرون عنه (نوواپس) وهو ما يغطى به لحد القبر، وقيل أنه اسم لمقابر النصارى خارج كربلاء من شمالها، مع الاتفاق على أن الحسين عليه السلام قد عرف مكان استشهاده وكذا خواص أهله وهو كربلاء لا غيرها، فتأمل.

وأخذها عن أبي العباس الآنف الذكر إمامهم أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني الزيدي[2] (م ٣٤٠ - ت ٤٢٤ هـ)، توفي شيخه أبو العباس وكان يحيى صبيا عمره ثلاثة عشر سنة كما تسجله تواريخ الوفيات، وهذا من الغرائب في التلمذة وأخذ الحديث المسند ومضعف لاعتبار حديثه،

---

(١) المصابيح في السيرة والتاريخ: ٣٣٥/ ح ١٨٧.

(٢) له كتاب الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، من كتب الزيدية التي عليها معتمدهم.

وروى هذا الخبر في أماليه، فقال مفصلا ما أجمل في سند شيخه، قال:

أَخْبَرَنَا أبو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بن إِبْرَاهِيمَ الْحَسَنِي رحمه الله تعالى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن عَبْدِ الله بن أَيُّوبَ البَجْلِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بن عَبْدِ العزيز العَكْبَرِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بن مُحَمَّدٍ بن يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ، عَنْ تَمِيمِ بن [أبي] ١ رَبِيعَةَ الرِّيَاحِي، عَنْ زَيْدِ بن عَلِيّ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام أَنَّ الْحُسَيْنَ بن عَلِيٍّ عليه السلام خَطَبَ أَصْحَابَهُ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ" وساق الخبر(٢).

ورواها عنه الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ) بسنده في مقتله ببعض التفاوت عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسيني بنفس الطريق، قال:

" أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد سيف الدين أبو جعفر محمّد بن عمر الجمحي كتابة، أخبرنا الشيخ الإمام أبوالحسين زيد بن الحسن بن علي البيهقي، أخبرنا السيّد الإمام النقيب علي بن محمّد بن جعفر الحسني الإسترابادي، حدثنا السيّد الإمام نقيب النقباء زين الإسلام أبو جعفر

---

(١) في غير مصدر بدون أبي، ولعلها زائدة.

(٢) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب (ترتيب الأمالي): ٣٤٦-٣٤٥.

محمّد بن جعفر بن علي الحسيني، حدثنا السيّد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمّد بن هارون بن محمّد بن القاسم بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني، حدثنا محمّد بن عبدالله بن أيّوب البجلي، حدثنا علي بن عبدالعزيز العكبري، حدثنا الحسن بن محمّد بن يحيى، عن أبيه، عن تيم بن ربيعة الرياحي، عن زيد بن علي، عن أبيه : أنّ الحسين (عليه السلام) خطب أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال " الخبر[١].

والراوي عن زيد بن علي، تميم بن ربيعة الرياحي، مجهول عندنا وعندهم لم يفصل حاله أحد، قال في موسوعة رجال الزيدية: " تميم بن ربيعة الرياحي: ذكر في طبقات الزيدية أنه روى عن زيد بن علي، وروى عنه محمد بن يحيى، ومثله في الجداول. لم أقف له على ترجمه ".

وكذا الرواة عن تميم بن ربيعة، مجهولون أو مهملون.

فهذ الخبر من أخبار الآحاد المنفردة التي رواها المجاهيل ومن لا يقبل منهم إلا أن يعضد خبرهم خبر غيرهم، فما بالك وقد رواها من يجر

---

(١) مقتل الخوارزمي: ٢٠٨.

النار لقرصه وتفرد بها من جهل أمره وتناقلها من لا يوثق بقوله !، وهذا أضعف صور الإسناد وأوهن النصوص في الاعتماد.

ولو قدرت لهذه الخطبة صحة وصدور، لما تعدت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، فإنه ممن أنهوا الفصاحة والبلاغة إليه، وضم السيف إلى جناحه ودعا الناس إلى بيعته.

وقال بعض المعاصرين في معرض الإجابة عن سؤال السائل عن درجة اعتبار هذه الخطبة المنسوبة للحسين عليه السلام:

"نعم المقاطع التي في هذه الخطبة والتي وردت في نصوصٍ أخرى عن الإمام الحسين عليه السلام، بحيث تظافرت النصوص فيها، يمكن القول بثبوتها ثبوتاً نوعيّاً لا شخّصياً ... وأقول: إذاً فهذه قطعاً قد صدرت، لأنّ فيها ذلك المقطع الذي تظافرت النصوص لتأكيده، فهنا أنا أجزم بهذه الفكرة المشتركة بين مائة نصّ حديثي أو تاريخي مختلف الموضوع، وفي الوقت عينه لا أصحّح أيّ رواية من هذه الروايات المائة بعينها وشخصها على تقدير ضعفها بنفسها، وهذه نقطة

مهمّة جدّاً في علم الحديث والأصول غالباً ما تتمّ الغفلة عنها كما رأيت. والله العالم"(١).

وهذا الجواب من غرائب الأجوبة !، إذ بعد التنزل والتسليم بأن اشتراك بعض المقاطع جابر لضعف الخبر وموِرث للاطمئنان لو تكثر وروده، فلنا أن نسأل صاحب هذه الدعوى - المجردة عن الدليل - عن مواضع الاشتراك المائة ومحالها !، وهل تعدد نَقَلُها ونَقَلَتُها حتى حقق وثوقا نوعيا بصدورها !، هذا، فضلا عن عدم كاشفية اشتراك بعض مقاطع الخطبة مع غيرها عن الصدور، إلا أن يؤنس بكلمات الإمام عليه السلام ويعرف أسلوب بيانه بعد التتبع والممارسة، بل قد يُدَّعى أن المشاركة في خطبتين -عن اثنين- غير متحدتين داعية للميل للوضع في المشكوكة منهما، إذا لا يقصر صاحب اللسان عن أي بيان، ولا يعجزه ضيق وفاض عن فيض العذب من الألفاظ.

عصمنا الله من الزلل، ووفقنا للسعي في إعلاء دينه من غير ملل أو كلل.

---

(١) انظر حيدر حب الله، الموقع الإلكتروني.

المثال الثاني: وأنّي لَم أخرُج أشِرا ولا بَطِرا

ونسب للحسين الشهيد ع قوله في وصية له: " وأنّي لَم أخرُج أشِرا ولا بَطِرا، ولا مُفسِدا ولا ظالِما، وإنَّما خَرَجتُ لِطَلَبِ النَّجاح وَالصَّلاح في أُمَّةِ جَدّي ".

فقد ادعى بعض أنه واضح الدلالة على جواز الخروج والمطالبة بل والمجازفة بالتضحيات، دماء وحرمات وأمان، بعنوان الثورة أو المعارضة، بمقتضى إطلاق نفي إرادة الفساد وإثبات إرادة الإصلاح في مقام تعليل الخروج، بضميمة أن يكون معنى الخروج هو القيام والثورة، فكأن السؤال كان عن سبب ثورته عليه السلام، فأجاب عنه بما ذكر من تكليف.

ومن الواضح أن معنى الخروج في نفسه - خاليا عن الإضافة أو القرائن - لا يتضمن معنى القيام على الحكم أو الظالم المسمى الآن بالثورة في لسان الساسة المتوثبين على حكوماتهم، ولم يتواضع أهل اللسان على الخروج بمعنى القيام إلا بعد اقترانه سياقا وحكما واشتهاره بحكم الخروج عن أمر الحاكم أو الظالم بعد سنين طويلة من عصر الإسلام الأول.

وأما ما قيل من أن اللفظ استقر على معنى القيام على الحاكم حتى سمي أتباعه خوارج بعد ظهورهم في زمن أمير المؤمنين عليه السلام، كما

ألمح الشيخ شمس الدين في كتابه[١]، فهو لا يعني انحصار استعمال مفردة الخروج في هذا المعنى، كما أن المعنى الجديد كان معرفة وتسمية لخصوص فئة هم الخوارج، ولم يكن في باقي تصريفات الكلمة.

فلا يمكن التسليم بأن معنى الخروج هنا هو المعنى المتبادر عند المستدل إلا بقرينة واضحة، إذ يحتمل غير هذا كخروجه من مكة، أو خروجه إلى الكوفة إجابة لبيعتهم.

ومن أمثلة استعمال الكلمة (الخروج) وما اقترنت به من ألفاظ شبيهة بما ورد في مقامنا -بمعناها الأولي لا بمعنى القيام- ما رواه ابن الشيخ الطوسي في مجالسه عن أبيه، بسنده عن الرضا، عن آبائه (عليهم السلام)، قال : " كان الصادق (عليه السلام، يقول إذا خرج إلى الصلاة :

اللهم إني أسألك بحق السائلين بك، وبحق مخرجي هذا، فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، ولكن خرجت ابتغاء رضوانك، واجتناب سخطك، فعافني بعافيتك من النار "[٢].

---

(١) أنصار الحسين: ٣٨.

(٢) أمالي الطوسي ١: ٣٨١.

ومثله ما رواه بسنده عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام[1]، وروي قريب منه وبألفاظ مشابهة أكثره في كتب العامة.

مصادر النص

قال أحمد بن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح فيما كان بالمدينة قبل خروجه عليه السلام لمكة وقبل بيعة أهل الكوفة وإرسال كتبهم طالبين قدومه:

"لَمّا جاءَ إلَيهِ [أي إلَى الإمامِ الحُسَينِ عليه السلام] مُحَمَّدُ ابنُ الحَنَفِيَّةِ قالَ : يا أخي فَدَتك نَفسي، أنتَ أحَبُّ النّاسِ إلَيَّ وأعَزُّهُم عَلَيَّ، ولَستُ وَاللّهِ أدَّخِرُ النَّصيحَةَ لأَحَدٍ مِنَ الخَلقِ، ولَيسَ أحَدٌ أحَقَّ بِها مِنكَ، فَإِنَّكَ كَنَفسي وروحي وكَبيرُ أهلِ بَيتي ومَن عَلَيهِ اعتِمادي وطاعَتُهُ في عُنُقي، لأَنَّ اللّهَ تَبارَكَ وتَعالى قَد شَرَّفَكَ وجَعَلَكَ مِن ساداتِ أهلِ الجَنَّةِ، وإنّي اُريدُ أن اُشيرَ عَلَيكَ بِرَأيي فَاقبَلهُ مِنّي .

فَقالَ لَهُ الحُسَينُ عليه السلام : قُل ما بَدا لَكَ . فَقالَ : اُشيرُ عَلَيكَ أن تَنجُوَ نَفسَكَ عَن يَزيدَ بنِ مُعاوِيَةَ وعَنِ الأَمصارِ مَا استَطَعتَ، وأن تَبعَثَ

---

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٧١.

رُسُلَكَ إلَى النّاسِ وتَدعُوَهُم إلى بَيعَتِكَ، فَإِنّي إن بايَعَكَ النّاسُ وتابَعوكَ حَمِدتُ اللّهَ عَلى ذلِكَ، وقُمتَ فيهِم بِما يَقومُ فيهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله وَالخُلَفاءُ الرّاشِدونَ المَهدِيّونَ مِن بَعدِهِ، حَتّى يَتَوَفّاكَ اللّهُ وهُوَ عَنكَ راضٍ، وَالمُؤمِنونَ كَذلِكَ، كَما رَضوا عَن أبيكَ وأخيكَ، وإن أجمَعَ النّاسُ عَلى غَيرِكَ حَمِدتَ اللّهَ عَلى ذلِكَ، وإنّي خائِفٌ عَلَيكَ أن تَدخُلَ مِصرا مِنَ الأَمصارِ أو تَأتِيَ جَماعَةً مِنَ النّاسِ فَيَقتَتِلونَ فَتَكونُ طائِفَةٌ مِنهُم مَعَكَ وَطائِفَةٌ عَلَيكَ فَتُقتَلَ بَينَهُم .

فَقالَ لَهُ الحُسَينُ عليه السلام: يا أخي ! إلى أينَ أذهَبُ ؟ قالَ: اُخرُج إلى مَكَّةَ، فَإِنِ اطمَأَنَّت بِكَ الدّارُ فَذاكَ الَّذي تُحِبُّ واُحِبُّ، وإن تَكُنِ الاُخرى خَرَجتَ إلى بِلادِ اليَمَنِ، فَإِنَّهُم أنصارُ جَدِّكَ وأخيكَ وأبيكَ، وهُم أرأَفُ النّاسِ وأرَقُّهُم قُلوبا، وأوسَعُ النّاسِ بِلادا وأرجَحُهُم عُقولاً، فَإِنِ اطمَأَنَّت بِكَ أرضُ اليَمَنِ وإلّا لَحِقتَ بِالرِّمالِ وشُعوبِ الجِبالِ، وصِرتَ مِن بَلَدٍ إلى بَلَدٍ لِتَنظُرَ ما يَؤُولُ إلَيهِ أمرُ النّاسِ، ويُحكَمَ بَينَكَ وبَينَ القَومِ الفاسِقينَ .

فَقالَ لَهُ الحُسَينُ عليه السلام: يا أخي ! وَاللّهِ لَو لَم يَكُن فِي الدُّنيا مَلجَأٌ ولا مَأوى لَما بايَعتُ وَاللّهِ يَزيدَ بنَ مُعاوِيَةَ أبَدا، وقَد قالَ صلى الله عليه و آله : «اللّهُمَّ لا تُبارِك في يَزيدَ» .

قالَ: فَقَطَعَ عَلَيهِ مُحَمَّدُ ابنُ الحَنَفِيَّةِ الكَلامَ وبَكى، فَبَكى مَعَهُ الحُسَينُ عليه السلام سَاعَةً ثُمَّ قالَ : جَزَاكَ اللّهُ ـ يا أخي ـ عَنّي خَيرا، ولَقَد نَصَحتَ وأشَرتَ بِالصَّوابِ، وأنَا أرجو أن يَكونَ إن شاءَ اللّهُ رَأيُكَ مُوَفَّقا مُسَدَّدا، وإنّي قَد عَزَمتُ عَلَى الخُروجِ إلى مَكَّةَ، وقَد تَهَيَّأتُ لِذلِكَ أنَا وإخوَتي وبَنو إخوَتي وشيعَتي، وأمرُهُم أمري، ورَأيُهُم رَأيي . وأمّا أنتَ يا أخي فَلا عَلَيكَ أن تُقيمَ بِالمَدينَةِ فَتَكونَ لي عَينا عَلَيهِم، ولا تُخفِ عَلَيَّ شَيئا مِن اُمورِهِم .

قالَ: ثُمَّ دَعَا الحُسَينُ عليه السلام بِدَواةٍ وبَياضٍ ... فَكَتَبَ :

بِسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، هذا ما أوصى بِهِ الحُسَينُ بنُ عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ لأَخيهِ مُحَمَّدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ المَعروفِ وَلَدِ عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ عليه السلام:

إنَّ الحُسَينَ بنَ عَلِيّ يَشهَدُ أن لا إلهَ إلاَ اللّهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأنَّ مُحَمَّدا عَبدُهُ ورَسولُهُ، جاءَ بِالحَقِّ مِن عِندِهِ، وأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنّارَ حَقٌّ . وأنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيبَ فيها، وأنَّ اللّهَ يَبعَثُ مَن فِي القُبورِ، وأنّي لَم أخرُج أشِرا ولا بَطِرا، ولا مُفسِدا ولا ظالِما، وإنَّما خَرَجتُ لِطَلَبِ النَّجاحِ وَالصَّلاحِ في اُمَّةِ جَدّي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله، اُريدُ أن آمُرَ بِالمَعروفِ وأنهى عَنِ المُنكَرِ، وأسيرَ بِسيرَةِ جَدّي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله، وسيرَةِ أبي عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين

رضي اللهُ عنهم، فَمَن قَبِلَني بِقَبولِ الحَقِّ فَاللّهُ أولى بِالحَقِّ، ومَن رَدَّ عَلَيَّ هذا أصبِرُ حَتّى يَقضِيَ اللّهُ بَيني وبَينَ القَومِ بِالحَقِّ، ويَحكُمَ بَيني وبَينَهُم بِالحَقِّ، وهُوَ خَيرُ الحاكِمينَ، هذِهِ وَصِيَّتي إلَيكَ يا أخي، وما تَوفيقي إلّا بِاللّهِ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وإلَيهِ اُنيبُ، وَالسَّلامُ عَلَيكَ وعَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدى، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا بِاللّهِ العَلِيِّ العَظيمِ .

قالَ : ثُمَّ طَوَى الكِتابَ الحُسَينُ عليه السلام وخَتَمَهُ بِخاتَمِهِ، ودَفَعَهُ إلى أخيهِ مُحَمَّدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ ثُمَّ وَدَّعَهُ"(١).

الاشتباه في الاستدلال بها على مشروعية القيام والمعارضة

نقلنا النص بتمامه ليعلم أن الخروج المقصود هو خروج الحسين عليه السلام من مكة إلى المدينة أو غيرها من البلدان كما هو واضح من السياق والمقام، وأن هذا الأمر كان قبل قيام الحسين عليه السلام وعزمه على تولي الكوفة بعد أن تكاثرت عليه كتب الكوفيين أن أقدم

---

(١) الفتوح : ج ٥ ص ٢١ ، عنه مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي : ج ١ ص ١٨٨.

إلينا خليفة لا نريد سواك، فتبين أن الاستدلال بها من جملة الاشتباهات وأن المقصود بها لا يوافق المستدل بها على جواز القيام.

مصدر الرواية غير معتبر

أما خبر هذه الوصية فمع اشتهارها بين المتأخرين خاصة، غير أنها في مصادر لا يتيقن صحتها مع انفرادها ولا يركن لها إلا إذا انضم إليها ما يقويها ولم يعارضها أمر آخر.

وهذه قد نُقلت عن كتاب ابن الأعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ)، الذي وصفه بعض العلماء المنسوبين للشيعة كابن جرير الطبري الإمامي بأنه " رجل معاند "[١] ولعله أراد مخالف، وآخرون من المتأخرين - كالمحدث ابن طاهر القمي- بأنه عمدة المخالفين وعلمائهم الثقات، وعدَّه ياقوت الحموي في معجم الأدباء شيعيا، قال: " كان شيعيا وهو عند أصحاب الحديث ضعيف"[٢] وهذا تعصب منه.

ولا شك في كونه من أبناء العامة لا الخاصة، وأن الناظر في كتابه يراه محبا أو زيديا، لا متشيعا إماميا، لذا قال فيه التستري في قاموسه: "من

---

(١) نوادر المعجزات: ٦٢، ب١ ح٢٧.

٢ معجم الأدباء ٢: ٢٣٠-٢٣١، ر٢٩.

مؤرّخي العامّة إلاّ أنّه ليس من نصّابهم "[1]، وتاريخه اعتمد على النقل منه بعض علماء الشيعة، لكن لا بتمام الاعتماد وكامل الركون كغيره من كتب أهل الأخبار التاريخية كمقتل لوط ابن يحيى المعروف بأن الشيعة ركنت لصاحبه ونقولاته؛ فإنه -ابن أعثم- مضطرب النقل كثير التفرد يسوق في أخباره الشعر ويداخلها بالمفجعات من الجمل مخالفا لغيره من نقلة الأخبار، واستحسنه بعض الشيعة من أصحاب التأليف المتأخرين، فاقتبسوا منه وصار يقرأ على الناس، فلاحظ.

الضعف في متن الرواية

وأما متنها فمما فيه أنه عليه السلام قال أنه يسير بسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم، وهذا لا يوافق المعلوم من المذهب بالضرورة، وما في بعض طبعات الكتب المتأخرة من رواية الحديث مع إسقاط هذه الجملة أو تخطيها تصرف معيب لا مبرر له !.

---

(١) قاموس الرجال ١٢: ٩٠، ر١٢٣١.

لو صحت الرواية لم يصح التمسك بدلالتها أيضا

وأما التمسك بالتعليل فيها بـ (طلب الإصلاح) وأنه سيرة النبي صلى الله عليه وآله وعلي والحسن عليهم السلام، ليكون مبررا للخروج مطلقا حتى مع عدم توفر دواعي النصر وأسبابه، فلو سلمنا صحة الرواية وسلامة متنها - وهو ما لا يمكن التسليم به كما أسلفنا آنفا - لم يصح معناه؛ لأن خروجه لو حمل على أنه للمسير من مكة إلى المدينة لم يكن مرادفا لمعنى القيام، والحال أن المستدل ممن ينتصر لجواز القيام أو وجوبه.

ولو حمل على الخروج لجهاد يزيد في مكة قبل بيعة الناس فهذا ليس بخروج وقيام؛ بل مُقامٌ في مكة وتحصن فيها بأهلها بغير دعوة دعا لنفسه فيهم كما هو المتفق عليه، وإنما كان ذاك من عبد الله بن الزبير بعد ذاك، فلا ينفع المدعي أيضا.

ولو سلم أنه خروج للجهاد من أوله تمهيدا ثم تنفيذا، قلنا: أنه لم يكن هذا من سيرة النبي صلى الله عليه وآله ولا سيرة علي ولا الحسن عليهما السلام التي ذكرت في ذيل الوصية، ولا يصح أن تقع المعارضة والتهافت؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله ما جاهد الكفار إلا أمرا

ووحيا بعد الصبر العظيم واجتماع الأسباب والقدرة بالهجرة، وما انفرد خارجا لحرب أحد ولا سلك سبل الثائرين كما في هذا العصر.

وإن عليا عليه السلام هو كذلك، ما قام في الناس ثائرا ولا أراق في هذا السبيل محجمة دم ولم يمسك بزمام الخلافة إلا بعد بيعة الناس له وعلمه بصيرورة الأمور إليه، ودونك خطبته الشقشقية وكثير من غرر كلامه.

وأن أبا محمد الحسن عليه السلام دام على خطى أبيه، ومن سيرته المهادنة لما خلت الأسباب وترجح الفسادُ على الصلاح بين الأتباع، كل هذا مع ما ثبت من سيرة الحسين عليه السلام، وهو بقاؤه في مكة ثم قدوم أهل الكوفة بكتبهم يطلبون قدومه ليبايعوه كسيرة أبيه عليه السلام، ثم سار لهم سير الشاخص غير المتحصن بعسكر ولا المترأس لجيش دون تبييت نية لمواجهة أو قيام كما أثبتناه في غير موضع من هذا الكتاب وفي غيره.

فكيف يكون خروجه عليه السلام من مكة بداية قيام وثورة!، وكيف يمكن الاستدلال بسيرة من لا يوافقون الثورة والقيام المدعى لا في المبدأ ولا الأسباب كالنبي وآله الأطياب !، فلم يقم ويخرج رسول الله صلى الله عليه وآله كخروج الثوار والقائمين، وكذا لم يفعل علي ولا ابنه الحسن عليهما السلام، فانتفى المُعلَّل (القيام) لبطلانه، ولم يصح

التَّعليل (طلب الإصلاح) لانتفائه، وهذا مضعف آخر للرواية، وعلى مدعي دلالتها الإتيان بوجه صحيح تام، وحيث لم يكن فلا محيص عن رفع اليد عنها.

ولرب قائل أن يقول: أنه عليه السلام بامتناعه عن بيعة يزيد قد شرع في المعارضة والقيام، فنقول: إنا نسلم أصل المعارضة منه عليه السلام ليزيد قبل أن يُبايعَ ليزيد ويبسط يده على البلاد ولا ينكره أحد أبدا، لكنا ننكر أنه قام على حاكم، وأنه قام بلا اهتمام لدماء الناس ولا رعاية لمصلحة الإسلام كالثوار والخارجين المجازفين وكما يريد أن يصوره المستدل على صحة القيام، ويكفي أن تلاحظ سيرته كلها سلام الله عليه ليبان لك الفارق البين، مع عدم صحة القياس والاستدلال مطلقا بامتناع الحسين عليه السلام عن البيعة، كما مر عليك ويأتيك من تفصيل أكثر.

كتاب: مَنْ لَحِقَ بِي اسْتُشْهِدَ وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِي لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْح

مع أن المروي عن هذه الوصية أو الكتاب -الذي لا يعلم غيره- بطرقنا ما عن السيد بن طاووس في كتابه اللهوف بسنده قال: ذكر مُحَمَّدُ بْنُ

يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ فِي كِتَابِ الرَّسَائِلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ عَنْ صَفْوَانَ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: "ذَكَرْنَا خُرُوجَ الْحُسَيْنِ ع وَ تَخَلُّفَ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع: يَا حَمْزَةُ إِنِّي سَأُخْبِرُكَ بِحَدِيثٍ لَا تَسْأَلُ عَنْهُ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَذَا، إِنَّ الْحُسَيْنَ لَمَّا فَصَلَ مُتَوَجِّهاً دَعَا بِقِرْطَاسٍ وَ كَتَبَ فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمُ اسْتُشْهِدَ وَ مَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الْفَتْحِ وَ السَّلَامُ"(١).

والسند غريب شاذ، فمروان بن إسماعيل مجهول لم يُذكر ولم يعرف في طرق الروايات ولا رواية له عن حمزة بن حمران، كذلك لم يروِ عنه صفوان، وصفوان يروي بلا واسطة عن حمران، ولعله أبو إسماعيل خالد بن نافع البجلي العاقولي الذي روى عن حمران، لكنه بعيد أيضا، وحمزة بن حمران بن أعين صاحب كتاب رواه القاسم بن إسماعيل، لم يصرح بوثاقته، لكنه صاحب كتاب روى عنه أجلة الثقات، وليس هذا الخبر مما بلغنا عنهم.

---

(١) اللهوف: ٢٨.

وروواه الحسن بن سليمان الحلي عن مختصر البصائر (المجموعة الحديثية) لسعد بن عبد الله الأشعري عن أَيُّوبُ بْنُ نُوحٍ[١]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ[٢]، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: ذَكَرْتُ خُرُوجَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ع وَ تَخَلُّفَ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْهُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع: «يَا حَمْزَةُ إِنِّي سَأُحَدِّثُكَ فِي هَذَا الْحَدِيثَ لَا تَسْأَلُ عَنْهُ بَعْدَ مَجْلِسِنَا هَذَا: إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ع لَمَّا مثل [فَصَلَ] مُتَوَجِّهاً دَعَا بِقِرْطَاسٍ فَكَتَبَ فِيهِ: مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمُ اسْتُشْهِدَ، وَ مَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْحَ وَ السَّلَامُ»[٣].

---

(١) في البصائر زيادة: عن صفوان بن يحيى.

(٢) في البصائر: مروان بن إسماعيل.

(٣) مختصر البصائر: ٥٩-٦٠/ ح٢٥.

ونحوه روى صاحب الكتاب المعروف اليوم ببصائر الدرجات الكبرى[1]، وليس في نسخة البصائر الصغيرة للصفار التي لا تزال مخطوطة لم تطبع[2].

ورواه موثقا ابن قولويه في كامل الزيارات[3] -مسندا للباقر لا للصادق ع- عن أَبِيه رَحِمَهُ اللَّهُ وَ جَمَاعَةُ مَشَايِخِيه عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيسَى[4] وَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الزَّيَّاتِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ: كَتَبَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَ مَنْ قِبَلَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، أَمَّا

---

(١) بصائر الدرجات ١: ٤٨٢/ح ٥ ج١٠ ب٩، ونصه: "حدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ نُوحٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ مَرْوَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: ذَكَرْنَا خُرُوجَ الْحُسَيْنِ وَ تَخَلُّفَ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَا حَمْزَةُ إِنِّي سَأُحَدِّثُكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَ لَا تَسْأَلْ عَنْهُ بَعْدَ مَجْلِسِنَا هَذَا، إِنَّ الْحُسَيْنَ لَمَّا فَصَلَ مُتَوَجِّهاً دَعَا بِقِرْطَاسٍ وَ كَتَبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ ألحق [لَحِقَ] بِي مِنْكُمْ اسْتُشْهِدَ مَعِي، وَ مَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ وَ السَّلَامُ ".

(٢) راجع مقالنا (نظرات في نسخ بصائر الدرجات).

(٣) كامل الزيارات ٧٥/ ح١٥.

(٤) وهو علي بن السندي، ثقة.

بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَحِقَ بِي اسْتُشْهِدَ وَ مَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِي لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْحَ وَ السَّلَامُ.

والظاهر - من تتبع الأسانيد - أن الرواية الأخيرة من كتاب محمد بن عمرو بن سعيد الزيات، قال النجاشي رحمه الله: " المدائني ثقة عين روى عن الرضا عليه السلام نسخة. أخبرنا علي بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحسن عن الصفار قال: حدثنا علي بن السندي عن محمد بن عمرو بن سعيد "(١)، وقد يفرق في الاعتبار بين إخباراته في الأحكام فتصحح بشهادة نقاد الحديث والرجال، وبين المناقب والتواريخ فتحتاج لقرينة، كما هو الملاحظ من التفرد والغرابة(٢) أو ضعف الضبط في رواياته، فلاحظ، فإنها من ضوابط قبول الحديث عندنا.

---

(١) فهرست النجاشي: ٣٦٩/ ر١٠٠١.

(٢) يقصد برواية الغرائب في كلام الرجاليين وأهل الحديث هو ما لم يكن على مجرى العادة، فيحتاج إثباته لقرينة أو شاهد زيادة على باقي الأخبار، وانفراد الرواي بها أو تفاوت ألفاظها أحد الموهنات التي تورد العلة على الحديث.

وتناقلها عنهم غير واحد من علماء الشيعة في مصنفاتهم، فانظر هامش التخريج[1].

وجوابه بعد الغض عن إشكال طريقي الخبر والفسحة في تصحيحه: أنه لا دلالة فيه على إقدامه عليه السلام وصحبه على الموت علنا، لأنه من إخباراته الخاصة لأهل بيته من بني هاشم كما هو صريحها.

عدم علم الناس بزمان وموضع قتل الإمام ع

غير أن هذا الخبر يعارضه ظاهر استجابته لبيعة الكوفيين مع ما دل على عدم علم عموم الناس وأكثر بني هاشم بالمصير المحتوم أو - وقته المعين وموضعه وإن تواتر أو اشتهر عند المطلعين الإخبار عن شهادته سلام الله عليه - حتى من زينب عليها السلام وأهل بيته ورسوله الثقة مسلم بن عقيل الذي أخذ بيعة الناس له صفقة يد منهم، ومن خرج معه في ركبه من الناس الكثير، ومن معه في الشهداء، إلا قبل يوم أو يومين من واقعة الطف، كما في روايات الإرشاد ومقتل لوط بن

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٧٦ ، مثير الأحزان : ٣٩ ، الخرائج الجرائح ٢ : ٧٧١ ، بحار الأنوار ٤٤ : ٣٣٠ و ٤٥ : ٨٤ و ٤٢ : ٨١ ح ١٢ ، العوالم ١٧ : ١٧٩ .

يحيى المروي عن الطبري، وعين عليه السلام وقته المحتوم وصحبه يوم الواقعة؛ إذ روى ابن قولويه في الصحيح عن الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: " إِنَّ الْحُسَيْنَ ص صَلَّى بِأَصْحَابِهِ يَوْمَ أُصِيبُوا ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ فِي قَتْلِكُمْ يَا قَوْمِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ اصْبِرُوا "، وغيرها من الأخبار والشواهد التي تدل على عدم علم الناس بالمحتوم وموضعه وزمانه، ولا يؤثر البحث في علم الإمام بمقتله تفصيلا أو أنه يغم عليه وقته كما يقول به بعض مشايخنا المحققين.

فهذا الخبر من متفردات المضامين وغريبها، ولا يرجح على مجموع الأخبار المعارضة لمفاده فضلا عما يحوطه من ضعف ذكرناه، وقد يكتفى بأخذ ظاهره المبين في أول الجواب.

لا يدل الخبر على جواز المعارضة السلمية مع احتمال الضرر

ومن هنا يعلم، أن الاستدلال بخبر (إني لم أخرج أشرا) على جواز المعارضة مع احتمال الضرر بشرط سماه بعض منهم (سلمية المعارضة)، تبرع بالدلالة والشرط؛ فقد علمت عدم صلاحيتها للاستدلال لضعف مستندها ومتنها، ولو دلت على جواز أو وجوب الخروج على

الحكام في كل عصر مطلقا، لما احتجنا لاشتراط سلمية الخروج !، لأن الغرض يطلب تحققه بأي نحو ولو بسفك المهج تمسكا بإطلاق الدليل كما توهموا، بل يلزم من هذا تخصيص أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذا العنوان المبتدع !.

ولو قيل: أن مرادهم بالشرط مشروعية المعارضة السلمية على نحو الاتفاق والإجماع، إذ لا حمل فيها للسلاح ولا تشابك في عراك، فهو مردود، بأنه لا يوافق القائلين بالحرمة ولا الجواز، إذ لا سنة ولا رواية ولا قول في الشريعة بتخصيص أدلة حرمة القيام إذا كان دون حمل سلاح بعد صدق مسمى الخروج المتمثل بالمعارضة كما بيناه، ولا مستند لتخصيص حكم الجواز أو الوجوب المطلق عند المتوهمين لهذا الحكم، فهو خرق للإجماع المركب النافي للتفصيل.

وكذا فإنه لا معنى لسلمية الخروج على الحاكم في الواقع فضلا عن لغوية اشتراطها شرعا، لأن السلامة لا تحقق بمجرد الامتناع عن حمل السلاح في قبال الحكام، بل في أن يؤمن من الفتنة بين الأنام والضرر من جانب السلطان حتى لو علق الزهر مكان السنان، وهو -أي السلطان- الذي يقرر كيف يشاء سلميتها إذا تحقق بها السلم أو عدم سلميتها إذا تحقق بها الضرر له ولملك دولته، فالسلمية وعدمها عنوان واقعي ينتزع من سلامة الطرفين المتنازعين في الفرض، وليس لها محل في عالم

الاعتبار، فمتى أجاز الحاكم المعارضة أو قل لم تكن بالنسبة له وفي نظره معارضة لحكمه ومنازعة له في ملكه، فقد ارتفع المحذور بالكلية على ما بينها في غير موضع.

الحاصل

والحاصل: أن نسبة هذا الحكم – وهو جواز المعارضة السلمية لإسقاط السلاطين والحكام المتغلبين ومبسوطي اليد، وصولا للحكم أو المشاركة فيه مغالبة ومحاصصة- بدون إمام معصوم -وهو الحجة الغائب ع له بيعة وأنصار يجمع الله تعالى به الكلمة- في عصر المهادنة بين بني الإسلام والمسالمة مع بقية الأنام، نسبة باطلة للشارع المقدس، كما أن توهم أو إيهام المكلفين بأن تغيير الألفاظ والأوصاف عن واقعها يبيح لهم ارتكاب الحرام، بطلانه من أوضح الواضحات، تَنَزَّهَ الشرعُ الحنيفُ عن هذا اللعب بالدين وخلطِ الوهمِ باليَقين.

إيهام المكلفين بأن تغيير الألفاظ والأوصاف عن واقعها يبيح لهم ارتكاب الحرام، بطلانه من أوضح الواضحات، تَنَزَّهَ الشرعُ الحنيفُ عن هذا اللعب بالدين وخلطِ الوهمِ باليَقين

المثال الثالث: علي بن الحسين لأبيه: لا نبالي أن نموت مُحقين

ومنها ما يلقيه بعض خطباء السياسة تشحيذا وتحميسا لأغراضهم وإسقاطا لنزاعاتهم مع الحكام على معنى شريف لا علاقة له بمآربهم، كالمروي في الإرشاد في حديث الحسين الشهيد مع ابنه علي بن الحسين عليهما السلام، قال المفيد رحمه الله:

"وَ لَمَّا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَمَرَ فِتْيَانَهُ بِالاسْتِقَاءِ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّحِيلِ فَارْتَحَلَ مِنْ قَصْرِ بَنِي مُقَاتِلٍ، فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ سِمْعَانَ: سِرْنَا مَعَهُ سَاعَةً نخَفَقَ وَ هُوَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ خَفْقَةً ثُمَّ انْتَبَهَ وَ هُوَ يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع عَلَى فَرَسٍ فَقَالَ: مِمَّ حَمِدْتَ اللَّهَ وَ اسْتَرْجَعْتَ ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي خَفَقْتُ خَفْقَةً فَعَنَّ لِي فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ وَ هُوَ يَقُولُ: الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَ الْمَنَايَا تَسِيرُ إِلَيْهِمْ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفُسُنَا نُعِيَتْ إِلَيْنَا، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ لَا أَرَاكَ اللَّهُ سُوءاً، أَ لَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ؟ قَالَ: بَلَى وَ

الَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْعِبَادِ، قَالَ: فَإِنَّنَا إِذاً لَا نُبَالِي أَنْ نَمُوتَ مُحِقِّينَ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ ع: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ خَيْرَ مَا جَزَى وَلَداً عَنْ وَالِدِهِ"(١).

والجواب: أن هذا القول كان بعد تيقن منازلة الأعداء، بعد أن تجاذب الحسين عليه السلام والحر الكلام وزاحمه الحر في المسير وأخبره بما أمره عبيد الله بن زياد، حيث خطب عليه السلام فيهم فقال: " أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّكُمْ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَ تَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ يَكُنْ أَرْضَى لِلَّهِ عَنْكُمْ، وَ نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَ أَوْلَى بِوَلَايَةِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ وَ السَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَ الْعُدْوَانِ، وَ إِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةً لَنَا وَ الْجَهْلَ بِحَقِّنَا وَ كَانَ رَأْيُكُمُ الْآنَ غَيْرَ مَا أَتَتْنِي بِهِ كُتُبُكُمْ وَ قَدِمَتْ بِهِ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ"(٢).فأبى القوم إلا منعه وحصاره.

فلا ينفع المستدل -ولا المُعمّي على المعنى- الاستدلال بها على محبة الإقدام على الموت لطالب الحق بلا روية؛ فإنها في موضع قد أقبل الموت على الحسين وصحبه ونزل القضاء بساحتهم فرضوا به ولم يستبدلوا

---

(١) الإرشاد ٢: ٨٢، ما جرى بين الحسين ع والحر الرياحي.
(٢) الإرشاد ٢: ٧٩-٨٠.

عن إمامهم ورايته بدلا، وهذا لا نزاع فيه، ولا يستحق الوقوف عليه إلا تنبيها على خطأ الاستشهاد.

مفهوم الشهادة

ومن هنا ينبغي الحديث عن الشهادة وتحرير مفهومها الذي زين به كثير من الثائرين أسماءهم، فغصبوا ثياب الشرف، مع أن الشرف ليس من حقيقه الإسم، بل من حقائق الذات ومن عطايا رب العباد.

فالشهادة من الشهود والحضور، والشهيد هو الحاضر الشاهد للأمر.

وله اصطلاح فقهي شائع، وآخر ديني أعم؛ أما الفقهي فهو صاحب الحق المقتول في نضال الأعداء في ساحة القتال لا خارجها، وله أحكام خاصة.

والديني العام: هو الشاهد على الحق وعلى ضلال الجاحدين لله حقه، قال تعالى: « وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً »[1].

---

(١) النساء: ٦٩.

وقال عز شأنه: « وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ »[1].

فعلق وصف الشهيد على شرط الطاعة لله ولرسوله والإيمان الصادق بهما، والطاعة لا تكون إلا من حيث أمر الله، والإيمان بالله عبودية وانقياد له سبحانه دون غيره من الطواغيت في الدنيا والدين، الذين قال الله تعالى في ذم اتباعهم وسماه عبادة: « اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّه »[2]، ففي الموثق عن أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: " قُلْتُ لَهُ: اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا وَ اللَّهِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ دَعَوْهُمْ مَا أَجَابُوهُمْ، وَ لَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمْ حَرَاماً وَ حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالًا فَعَبَدُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ "[3].

وبمفاد الآيتين الكريمتين روى البرقي في المحاسن في باب (المؤمن صِدِّيقٌ شَهِيد):

---

(١) الحديد: ١٩.

(٢) التوبة: ٣١.

(٣) الكافي ١: ٥١/ ح١ ب التقليد.

بسند قوي عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ع قَالَ: " مَا مِنْ شِيعَتِنَا إِلَّا صِدِّيقٌ شَهِيدٌ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَعَامَّتُهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى فِرَاشِهِمْ ؟ فَقَالَ: أَ مَا تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي الْحَدِيدِ: (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ)، قَالَ: فَقُلْتُ: كَأَنِّي لَمْ أَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ قَطُّ، قَالَ: لَوْ كَانَ الشُّهَدَاءُ لَيْسَ إِلَّا كَمَا تَقُولُ لَكَانَ الشُّهَدَاءُ قَلِيلًا "[1].

وروى الشيخ في التهذيب في المرسل عن عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ع: " فَقَالَ إِنْسَانٌ: مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ الشَّهِيدَ إِلَّا مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع: إِنَّ الشُّهَدَاءَ إِذَنْ لَقَلِيلٌ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ "[2] الحديث.

وروى البرقي في الصحيح عن أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع في الحديث: قَالَ: " إِي وَ اللَّهِ وَ إِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ يُرْزَقُ "[3]، ومثلها أخبار كثيرة صحيحة.

---

(١) المحاسن ١: ١٦٣/ ح١١٥.

(٢) التهذيب ١: ١٦٧/ ح٤٠.

(٣) المحاسن ١: ١٦٤/ ح١١٦.

فليس بشهيد من لم يقر بالحق لأهله ويدين بدين الله الصادق أو بنية خالصة له تعالى ذكره، إلا أن يكون من المستضعفين في المعرفة والدين، كحال كثير بل أكثر المسلمين بل كل الغافلين.

الترغيب عن التعرض للقتل دون المظلمة

ومع أنه روي في المعتبر صحيحا عَنْ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلِمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مَرْيَمَ هَلْ تَدْرِي مَا دُونَ مَظْلِمَتِهِ ؟ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ الرَّجُلُ يُقْتَلُ دُونَ أَهْلِهِ وَ دُونَ مَالِهِ وَ أَشْبَاهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مَرْيَمَ إِنَّ مِنَ الْفِقْهِ عِرْفَانَ الْحَقِّ"[1].

إلا أنه يُرغب عن التعرض للقتل والقتال عند التمكن من التخلص حتى لصاحب المظلمة المتقدمة أمثلتها والمقيدة بوقت المظلمة وشروطها.

ففي التهذيب في الصحيح عنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: " سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ دُونَ مَالِهِ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

---

(١)الكافي ٥: ٥٢/ ح٢ ب من قتل دون مظلمته.

مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الشَّهِيدِ، فَقُلْنَا لَهُ: يُقَاتِلُ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ: إِنْ لَمْ يُقَاتِلْ فَلَا بَأْسَ، أَمَّا أَنَا فَلَوْ كُنْتُ لَمْ أُقَاتِلْ وَ تَرَكْتُهُ "(١).

بل لو عرَّض المرء نفسه للموت والتهلكة فليس بشهيد، فقد روى الشيخ بسنده عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع قَالَ: " سُئِلَ النَّبِيُّ ص عَنِ امْرَأَةٍ أَسَرَهَا الْعَدُوُّ فَأَصَابُوا بِهَا حَتَّى مَاتَتْ، أَ هِيَ بِمَنْزِلَةِ الشَّهِيدِ ؟ قَالَ: نعمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ أَعَانَتْ عَلَى نَفْسِهَا "(٢).

[المؤمن لا يتمنى الموت، لكنه يرضى به عند نزوله]

والمجمع عليه بين أهل الملة كراهة تمني الموت واستحباب تمني طول العمر في طاعة الله عز وجل، وحرمة التعرض للهلكة بلا حجة شرعية مأذون له فيها، والرضا به والتسليم له عند نزول الموت بساحة المؤمن.

ففي الصحيح إلى عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: " قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَ مَنْ أَبْغَضَ لِقَاءَ اللَّهِ أَبْغَضَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ؟ قَالَ: نعمْ، قُلْتُ: فَوَ اللَّهِ إِنَّا

---

(١) الكافي ٥: ٥٢/ ح٣ ب من قتل دون مظلمته.
(٢) تهذيب الأحكام ٥: ١٦٨/ ح٦ ب الشهداء وأحكامهم.

لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ! قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ حَيْثُ تَذْهَبُ،، إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَ اللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ لِقَاءَهُ وَ هُوَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ حِينَئِذٍ، وَ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ وَ اللَّهُ يُبْغِضُ لِقَاءَهُ "(١).

فالشهيد هو من شهد بالحق وتيقنه، وأطاع الله من حيث أمره، مات بحد السيف أو على فراشه، كيف وقد ضاعف الله أجر الصابرين في زمن الهدنة بأن جعل لهم أجر اثنين وخمسين شهيدا، وقد مر عليك ما رواه الطبرسي في النبوي المعتضد معناه بأخبار الصبر والانقياد لأمر أهل البيت عليهم السلام، قال:

"عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَفَعَهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

أَيُّهَا النَّاسُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْمُلْكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ والتَّجَبُّرِ ولَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْغَنَاءُ إِلَّا بِالْبُخْلِ والتَّكَبُّرِ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ مِنْكُمْ فَصَبَرَ عَلَى الْفَقْرِ وهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْغَنَاءِ مِنْهُمْ، وصَبَرَ عَلَى الْبَغْضَاءِ وهُوَ

---

(١) الكافي ٣: ١٣٤/ ح١٢ ب ما يعاين المؤمن والكافر.

يَقْدِرُ عَلَى الْمَحَبَّةِ مِنْهُمْ، وصَبَرَ عَلَى الذُّلِّ وهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْعِزِّ مِنْهُمْ، ويُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ والدَّارَ الْآخِرَةَ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ اثْنَيْنِ وخَمْسِينَ شَهِيداً"(١).

وقتلا في سبيلك فوفق لنا

وقد تكرر في كلام بعض الحاشدين لأدلة القيام والحاثين للتضحية في غيبة الإمام، بعض ما روي مطلقا في الدعاء بتمني القتل في سبيل الله، وتبرع المستدل بإطلاقها زمانا ومكانا، فتوهم أو أوهم تأييد الشارع لكل إقدام على الموت إذا صحت نية العبد في رفع راية الدين وتسمى في المجاهدين، وعلى هذا القول بذلت نفوس مؤمنين ما كنا نحسب أنها تزهق لو تلي مسامعها صافي كلام النبي وآله، وسقي عطشها من حلو كؤوس معين معارف خطابه، فتأمل فيما مضى ويأتي، وتنبه.

فمن ذاك ما رواه السيد ابن طاووس في الإقبال في موضعين مرسلا ضمن أعمال شهر رمضان قال:

"دعاء آخر في كلّ ليلة منه:

---

(١) مشكاة الأنوار: ٤٧٧.

اللَّهُمَّ بِرَحْمَتِكَ فِي الصَّالِحِينَ فَادْخِلْنا، وَ فِي عِلِّيِّينَ فَارْفَعْنا، وَ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ مِنْ عَيْنٍ سَلْسَبِيلٍ فَاسْقِنا، وَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ بِرَحْمَتِكَ فَزَوِّجْنا، وَ مِنَ الْوِلْدانِ الْمُخَلَّدِينَ، كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ فَاخْدِمْنا، وَ مِنْ ثِمارِ الْجَنَّةِ وَ لُحُومِ الطَّيْرِ فَاطْعِمْنا، وَ مِنْ ثِيابِ السُّنْدُسِ وَ الْحَرِيرِ وَ الْإِسْتَبْرَقِ فَأَلْبِسْنا، وَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَ حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرامِ وَ قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ فَوَفِّقْ لَنا، وَ صالِحَ الدُّعاءِ وَ الْمَسْأَلَةِ فَاسْتَجِبْ لَنا.

يا خالِقَنا اسْمَعْ وَ اسْتَجِبْ لَنا ... وَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يا لا إِلهَ إِلَّا انْتَ بِحَقِّ لا إِلهَ إِلَّا انْتَ فَنَجِّنا"(١).

لكن الشيخ الطوسي رحمه الله روى -مرسلا- لفظ الدعاء بتفاوت في الدعوات بعد صلاة الظهر وليس فيه سؤال القتل في سبيل الله، فقال:

" دعاء آخر:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَزِيزُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ - الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَ الْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَ السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ.

---

(١) إقبال الأعمال ١: ١٤٣، ب٤ الفصل١٥، و ١: ٢٢٤، ب٥ الفصل ٦.

إلى أن قال: " ثُمَّ تَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ فَاكْتُبْ لَنَا بَرَاءَتَنَا، وَ فِي جَهَنَّمَ فَلَا تَجْعَلْنَا ... وَ مِنْ ثِيَابِ الْحَرِيرِ وَ السُّنْدُسِ وَ الْإِسْتَبْرَقِ فَأَلْبِسْنَا وَ لَيْلَةَ الْقَبْرِ فَارْحَمْنَا وَ حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ فَارْزُقْنَا وَ سَدِّدْنَا وَ قَرِّبْنَا إِلَيْكَ زُلْفَى وَ صَالِحَ الدُّعَاءِ وَ الْمَسْأَلَةِ فَاسْتَجِبْ لَنَا يَا خَالِقَنَا اسْمَعْ لَنَا وَ اسْتَجِبْ " الحديث.

والسيد نفسه روى نفس الدعاء في تعقيبات صلاة الظهر في فلاح السائل، وأورد طريقه، قال: "رَوَاهُ أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ الْقَزْوِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى أَبُو عَلِيٍّ الْعَطَّارُ فِي كِتَابِهِ عَلَى يَدَيْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَذَّاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ الْفَزَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَالِكٍ مِنْ وُلْدِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: تَدْعُو فِي أَعْقَابِ الصَّلَوَاتِ الْفَرَائِضِ بِهَذِهِ الْأَدْعِيَةِ "(١)، وساق الدعاء، وليس فيه: "وقتلا في سبيلك فوفق لنا".

---

(١) فلاح السائل: ١٧٦، الفصل التاسع.

الدعاء بالموت في سبيل الله تحت راية إمام قائم

بل روى السيد في الإقبال دعاء البهاء فقال: "و من ذلك دعاء آخر وَجَدْنَاهُ فِي أَدْعِيَةِ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ بِإِسْنَادٍ وَ تَرْغِيبٍ عَظِيمِ الشَّأْنِ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّه مِنْ أَسْرَارِ الدَّعَوَاتِ وَ مَضْمُونِ الْإِجَابَاتِ وَ هُوَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ كَمَا أَمَرْتَنِي فَاسْتَجِبْ لِي كَمَا وَعَدْتَنِي ثَلَاثاً اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ بَهَائِكَ بِأَبْهَاهُ وَ كُلُّ بَهَائِكَ بَهِي " إلى أن قال: " وَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَ حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ وَ قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ مَعَ وَلِيِّكَ فَوَفِّقْ لَنَا "[1].

وفي عدة مواضع أخر أيضا، منها ما رواه في أدعية شهر الله: " وَ أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ وَفَاتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ مَعَ أَوْلِيَائِكَ تَحْتَ رَايَةِ نَبِيِّكَ وَ أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْتُلَ بِي أَعْدَاءَكَ وَ أَعْدَاءَ رَسُولِكَ وَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي"[2] الحديث.

وهو الموافق لما رواه الكليني -صحيحا مشهورا- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ وأَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ

---

(١) الإقبال ١: ١٠٤، ب٥.

(٢) الإقبال ١: ٣٩.

رَمَضَانَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي بِكَ وَ مِنْكَ أَطْلُبُ حَاجَتِي، وَ مَنْ طَلَبَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ، فَإِنِّي لَاأَطْلُبُ حَاجَتِي إِلَّا مِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، ... وَ أَوْزِعْنِي شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَ أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ وَفَاتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ، تَحْتَ رَايَةِ نَبِيِّكَ مَعَ أَوْلِيَائِكَ، وَ أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْتُلَ بِي أَعْدَاءَكَ وَ أَعْدَاءَ رَسُولِكَ، وَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي بِهَوَانِ مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ، وَ لَاتُهِنِّي بِكَرَامَةِ أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، حَسْبِيَ اللَّهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ»(١).

وبهذا يتضح

وبهذا يتضح أن عبارة دعاء الإقبال مقيدة، حملا للمطلق على المقيد، ومنفردة اللفظ في قبال الأكثر، محتملة للنقص، فما هو في سبيل الله من تمني الموت والإقدام على القتل ليس إلا تحت راية نبي أو ولي وصي، وإليه تصرف الأدلة المطلقة، والكلام هو الكلام في المروي من قول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء يوم الهرير بصفين: " فَإِذَا كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ الْمَوْتُ فَاجْعَلْ مِيتَتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ بِيَدِ شَرِّ خَلْقِك

---

(١) الكافي ٤: ٧٠/ ح٦ ب ما يقال في مستقبل شهر رمضان.

"[1]، وغيره هذا يكون من رمي النفس في التهلكة وإعانة عليها، إلا أن يموت غيلةً أو في حين المظلمة كما سوف نبين.

ومن غير الجائز أن تلوى الأدلة عن وجهها، ويكتم عن الناس فقهها، وتوظفها الأهواء المتحزبة لأغراضها، فإن آخر مطافها بعد البيان أن يصدق فيهم -والعياذ بالله- قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُون)[2].

---

(١) مهج الدعوات ٠٩٧.

(٢) البقرة: ١٥٩.



المثال الرابع: موت في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذُل

ومن أمثلة تلك الأقوال والشعارات التي استدل بها مُروجو عقيدة القيام والثورة، ما نسب للحسين الشهيد عليه السلام أنه قال: "موت في عز خير من حياة في ذل".

أرسله ابن شهرآشوب في المناقب عنه عليه السلام ولم يسنده كعادته في كتابه، وهو أول من نسبه للحسين ع في الكتب الحاضرة.

قال:

" وَ قَالَ ع مَوْتٌ فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍ، وَ أَنْشَأَ ع فِي يَوْمِ قَتْلِهِ:

الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ   وَ الْعَارُ أَوْلَى مِنْ دُخُولِ النَّارِ

وَ اللَّهِ مَا هَذَا وَ هَذَا جَارِي

ابن نباتة:

الحسين الذي رأى القتل في العز حياة والعيش في الذل قتلا[1]

وجوابه

أولا: أن المقولة لا ينعقد لها إطلاق؛ لأنها -كما تكرر منا القول- صريحة في مقام استقبال الموت والرضا به دون انتهاك الحرمات، فلا يليق بالمستدل العارف إيرادها في كتاب أو إسماعها في خطاب، إلا أن يخفى عليه الواضح أو يكون له غرض آخر.

وثانيا: أنها مما كثر ذكر أمثاله في مواضع الحرب وتحميس المحاربين على العدو، على غرار ما رواه السيد الرضي في نهج البلاغة قال: "و من خطبة له ع لما غلب أصحاب معاوية أصحابه ع على شريعة الفرات بصفين و منعوهم الماء:

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَ تَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَ الْحَيَاةُ فِي

(١) المناقب ٤: ٦٨.

مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ، أَلَا وَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ وَ عَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ"(١).

فليس من المبادئ العامة التي لها أساس في الشريعة بذل النفوس غرورا، بل جعل الإسلام كف اليد والتدبير وحقن دماء الأبرياء أعلى رتب تُطلب، وخير غاية ترتجى، وأفضل دعاء يدعى به حتى عند اصطكاك الأسنة، فقد روى السيد الرضي رحمه الله في النهج قال: " و من كلام له ع و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين:

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَ لَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَ قُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَ بَيْنِهِمْ وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَ يَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَ الْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ "(٢).

---

(١) نهج البلاغة: ٨٨/ خ ٥١.

(٢) نهج البلاغة: ٣٢٣/ خ٢٠٦.

ومن الإيمان اتقاء إهلاك النفس لأجل الدنيا والمنازعة على الملك بالفتك، حتى لو زينها المتكلمون وجعلوا طلبها في دعواهم نصرة للمظلوم، ومن لا تقية له لا دين له، سواء في دمه أو دماء الأبرياء، ويشهد له خبر العياشي في التفسير بسنده عن عن حذيفة قال: " «وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»، قال ع: هذا في التقية "(١).

وثالثا: فهذه المقولة من المأثورات عن العرب وليست من تأسيسات الإمام ولا من تطبيقاته في كل قضايا الإسلام، قال السيد المرتضى في أماليه في أخبار الحارث بن كعب المذحجي ووصيته حين الموت:

قال أبو حاتم السجستاني: جمع الحار بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال:

«يا بنى، قد أتى عليّ ستون و مائة سنة، ما صافحت بيميني يمين غادر، و لا قنّعت نفسى بخلّة فاجر، و لا صبوت بابنة عمّ و لا كنّة، و لا طرحت عندي مومسة قناعها، و لا بحت لصديقي بسرّ، و إني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام، و ما عليه أحد من العرب غيرى، و غير أسد بن خزيمة، و تميم بن مرّة، فاحفظوا وصيّتي، و موتوا على

---

(١) تفسير العياشي ١: ٨٧.

شريعتي: إلهكم فاتقوه يكفكم المهمّ من أموركم، و يصلح لكم أعمالكم، و إياكم و معصيته، لا يحلّ بكم الدّمار، و يوحش منكم الدّيار. يا بنيّ، كونوا جميعا و لا تفرقوا فتكونوا شيعا، و إنّ موتا في عزّ خير من حياة في ذلّ و عجز، و كلّ ما هو كائن كائن، و كلّ جميع إلى تباين"[١] الخبر.

وظاهر قوله : " خير في ذل وعجز "، هو تفضيل الموت غنيا عن الآخرين على الموت عاجزا ذليلا سائلا.

ورواه أيضا الشيخ الطوسي في أخبار المعمرين في كتابه الغيبة[٢].

وكذا أورده المعتزلي في النهج قال: في (فصل: في ذكر بعض وصايا العرب):

" و ينبغي أن يذكر في هذا الموضع وصايا من كلام قوم من رؤساء العرب أوصوا بها أولادهم و رهطهم فيها آداب حسان و كلام فصيح، و هي مناسبة لعهد أمير المؤمنين ع هذا و وصاياه المودعة فيه، و إن كان كلام أمير المؤمنين ع أجل و أعلى من أن يناسبه كلام؛

---

(١) آمالى المرتضى: ٢٣٢.

(٢) الغيبة: ١٢٢.

لأنه قبس من نور الكلام الإلهي و فرع من دوحة المنطق النبوي"[1]
ثم ذكره بعينه.

فقس على هذا المثال غيره من الأقوال، وتنبه إلى فقهها، ولا تغتر بما يردده العوام من غير ترو في كل مقام، ولتق الله الخطباء في منابرهم فإنهم مسلطون على أمانات؛ فإن الكذب ليدخل على المؤمن من التهاون في الدين، فيلقى العبدُ ربَّه وقد تعلَّقت به الدماء، أعاذنا الله من الجهل ووقانا شرور الجهلاء.

فليس من المبادئ العامة التي لها أساس في الشريعة بذل النفوس غرورا، بل جعل الإسلام كف اليد والتدبير وحقن دماء الأبرياء أعلى رتبٍ تُطلب

---

[1] شرح النهج ١٧: ١١٨.

أقوال أخرى نسبت للأئمة عليهم السلام

الكاظم ع: لن ينقضيَ عَنَي يومٌ من البلاءِ إلا انقضَى عنكَ معهُ يومٌ منَ الرَّخاءِ

ونقل بعضهم ما رويَ إلى حيِّز الشعار، وصار يواسي به كل ما يصيب الثوار، فمنه ما روي عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام، الذي قضى شهيدا مظلوما في سجن الخليفة هارون، متنقلا بين سجونه في مجموع أربع سنين، ونالت سيرته صلوات الله عليه من التحريف ما نال سيرة آبائه وأبنائه، من الكذبة المضيعين والمفرطين [1]، ووظفت في سياقات التحفيز والنفير، مع أن هذا من أبعد الأشياء عن أهل البيت وهم أبعد الناس عن هذه الدعوى.

ومن أمثلته:

---

(١) ذكرنا في كتاب (حرمة القيام) أنه أحد أسباب استشهاد الإمام موسى عليه السلام في عنوان (سيرة الشيعة على الإلباد للأرض) وقصة هشام بن الحكم.

ما رواه علي بن عيسى الإربلي (٦٩٢ هـ) في كشف الغمة مرسلا من كتاب الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي قال: "حَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ بَعَثَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ع إِلَى الرَّشِيدِ مِنَ الْحَبْسِ بِرِسَالَةٍ كَانَتْ: أَنَّهُ لَنْ يَنْقَضِيَ عَنِّي يَوْمٌ مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا انْقَضَى عَنْكَ مَعَهُ يَوْمٌ مِنَ الرَّخَاءِ حَتَّى نَقْضِيَ جَمِيعاً إِلَى يَوْمٍ لَيْسَ لَهُ انْقِضَاءٌ يَخْسَرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ"(١).

وقد حدث الإربلي في كتابه عن جماعة و كُتبِ مشايخ الفرق الأخرى وترَّحم عليهم، ككتب ابن الجوزي، والجنابذي واحد منهم، أكثر النقل عنه الإربلي من كتابه (كتاب معالم العترة النبوية العلية ومعارف أئمة أهل البيت الفاطمية العلوية).

وقد علل روايته عنهم بما ظاهره توثيقهم، قال: "قال الفقير إلى الله تعالى عبد الله علي بن عيسى غفر الله له برحمته ذنوبه و ستر بعفوه و تجاوزه عيوبه: أن الحافظ أبا نعيم وصل معنا إلى أخبار أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ع و أضرب صفحا عمَّن سواه، و أما ابن الجوزي فإنه ذكر العبد الصالح موسى بن جعفر ع و ما تعداه.

---

(١) كشف الغمة: ٢١٢، في مناقب أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم.

و هما في كتابيهما يذكران من مجهولي العباد و من شذاذ العباد من لا يعرف اسمه و لا نسبه و لا يتحقق طريقه و لا مذهبه، فيقولان مثلا: عابدٌ كان باليمن، عابدةٌ حبشية، إلى أمثال هذا، و لا يذكرون مثل موسى الكاظم و لا علي الرضا و لا محمد الجواد و أبناهم.

فأما عبد العزيز الحافظ الجنابذي فإنه وصل إلى الحسن العسكري ع ووقف حين وصل إلى ذكر الإمام الخلف الصالح مولانا الحجة عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة و السلام.

فأما كمال الدين بن طلحة رحمه الله فإنه ذكر السلف و الخلف و جرى في مضماره و ما وقف، و إن أنكر غيره شيئا فقد أقر رحمه الله و اعترف.

و من أعجب الأمور أن أبا نعيم مُتهم بالتشيع !، و فعله هذا يرفعه عنه غاية الترفع عفا الله عنا و عنهم، فكل قال على قدر اجتهاده و كلٌّ منا لسانه من خدم فؤاده فلا يقول إلا بمقتضى مراده"[١].

ومن الواضح أن هذا لا يكفي للاعتبار عند كل أهل الأخبار.

---

(١) كشف الغمة ٢: ٣٠٥-٣٠٦.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: "ابن الأخضر الإمام العالم المحدث الحافظ المعمر مفيد العراق أبو محمد عبد العزيز بن أبي نصر محمود بن المبارك بن محمود الجنابذي الأصل البغدادي التاجر البزاز، ابن الأخضر، ولد سنة ٥٢٤ وسمع في سنة ثلاثين. سمع القاضي أبا بكر وأبا القاسم بن السمرقندي، ويحيى بن الطراح، وعبد الجبار بن توبة، وعبد الوهاب الأنماطي، وأبا منصور بن خيرون، وأبا الحسن بن عبد السلام، وأبا سعد بن البغدادي، وأبا الفضل الأرموي، وأبا الفضل بن ناصر، وابن البطي، وصنف، وجمع، وكتب عن أقرانه، وحدث نحوا من ستين عاما، وكان ثقة، فهما، خيرا، دينا، عفيفا، قال ابن الدبيثي لم أر في شيوخنا أوفر شيوخا من ابن الأخضر، ولا أغزر سماعا، حدث بجامع القصر سنين كثيرة "، وفي هذا مدح عظيم، لكنه عن معلوم الحال، والذي كلما زاد مدحا كان في الرجل قدحا !.

فلا يثبت بهذه الرواية المنفردة شيء يعتمد عليه ويحتج وينسب للإمام عليه السلام؛ فإنها وإن كانت عن رجل ظاهره المودة لأهل البيت ع، إلا أنه لم يعلم احتياطه ووثاقته، وشروط الحجية فيها غير مجتمعة والقرائن العاضدة غير متوفرة، بل الانفراد بروايتها علامة ضعفها.

ولا ينقضي العجب بعد هذا، مما صار إليه حالنا -وبين أيدينا كتب فيها إرث المصطفى صلى الله عليه وآله- من تلقيم الناس عكس علوم

السماء ونقائض السلوك السوي، وحثهم على التحلي بخلاف الحكمة ونقائص المروة والعقول المذمومة، وكله بتلك الشعارات التي جعلوها شعائر الدين وحقيقة مذهب أهل البيت الكُمَّل المتقين المنزهين، بلا دليل أقاموه ولا حجة ناهضة، ولا احتياط رعوه وهو أقل الإيمان، حتى بلغ الأمر أن يحشد الناس المساكين للمشاغبة بين دور الآمنين ويخرب كل ثمين في أوطان المؤمنين، كأنهم قد صدق فيه قول أحد المفسرين في يهود المدينة المتمردين الخائنين: " (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) وأثبت فيها الخوف الَّذي يرعبها ، أي : يملؤها (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ) ضنّا بها على المسلمين ، واحتياجا لهم إلى الخشب والحجارة ليسدّوا بها أفواه الأزقّة ، وإخراجا لما استحسنوا من آلاتها (وأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) فإنّهم أيضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال ، فلا يبقى لهم بالمدينة دار ، ولا منهم ديار"(١).

تم بحمد الله

محمد علي حسين العريبي

٥ جمادى الأول ١٤٣٧ هـ - ١٤ من فبراير ٢٠١٦ م

---

(١) زبدة التفاسير للفتح الله الكاشاني ٧: ٥٩.

الفهرس

قد تمحل كثير من الزيدية والفرق قديما وبعض أصحابنا - هداهم الله للصواب- أخيرا وجوها شتى لتبرير سعيهم لرفع راية التشيع والحكم باسم الإمام بإقامة الدولة الظاهرة ...

وما يبحثه الكتاب الحاضر بين يديك في فصلين:

الأول: في قيام الحسين بن علي بن أبي طالب.

الثاني: في تحقيق حال الشعارات الثورية المنسوبة لأهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله.